مَعَالِمُ الْهُدَى

فِي

زَمَنِ انْتِشَارِ الْوَبَا

(فيروس كورونا / كوفيد - ١٩)

بقلم

عبد الرحمن بن أحمد بونواشة الجزائري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، مُنْزِلِ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ، وَمُقَدِّرِ الْبَلاءِ وَالْوَبَاءِ، فَيُصِيبُهُ بِعَدْلِهِ وَحِكمتِهِ مَنْ يَشَاءِ، وَيَصْرِفُهُ بِرَحْمَتِهِ عَن مَّنْ يَشَاءِ، مُرْسِلِ الآياتِ وَالطَّوَاعِينِ تَخْوِيفًا وَعَذَابًا لِلْأشقياء، وَرَحْمَةً لِلْأتقِيَاء، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْمَعْبُودُ بِالْحَقِّ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، النافذُ حُكْمُهُ عَلَى الْخَلْقِ سَوَاءِ، وَالْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ اِسْتَوَى، الْمُتَفَرِّدُ بِكَشْفِ الضُّرِّ وَرَفْعِ اللَّأْوَاءِ، ذُو الْمَنِّ وَالْعَطَاءِ، وَصَاحِبُ الْفَضْلِ وَالْوَفَاءِ، فَلَهُ الْحَمْدُ فِي الضَّرَّاءِ، وَلَهُ الشُّكْرُ فِي السَّرَّاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى، وَالرَّسُولُ الْمُجْتَبَى، سَيِّدُ الْأَنْبِيَاء، وَإِمَامُ الْحُنَفَاء، الْمَبْعُوثُ لِلْعَالَمِيْنَ بِالرَّحْمَةِ وَالشِّفَاء، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ الشُّرَفَاء، وَصَحَابَتِهِ الْكِرَامِ الْأَصْفِيَاء، وَعَلَى مَنْ سَلَكَ نَهْجَهُمْ وَبِآثَارِهِمْ اِقْتَفَى؛ أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ رِسَالَةٌ مُوجَزَةٌ كَتَبْتُهَا نُصْحًا لِنَفْسِي وَإِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَصِيبَةِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا الْبَشَرِيَّةُ جَمْعَاء، لِمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ وَبَاءٍ عَظِيمٍ، وَدَاءٍ

جَسِيمٍ، حَيَّرَ الْعُلَمَاءَ وَالْأَطِبَاءَ؛ فَلَمْ يَعْرِفُوا لَهُ أَصْلًا، وَلَمْ يَقِفُوا لَهُ عَلَى دَوَاءٍ، وَأَعْجَزَ الْحُكَّامَ وَالْأُمَرَاءَ؛ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الِاحْتِرَازِ مِنْه وَلَا الِاحْتِمَاءِ، وَأَمَّا سَائِرُ النَّاسِ فَهُمْ بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجَاء.

وَقَدْ رَقَمْتُ فِي هَذِهِ الصَّفَحَاتِ جُمْلَةً مِنْ مَعَالِمِ الْهُدَى يَسْتَنِيرُ وَيَهْتَدِي بِهَا الْمُسْلِمُ فِي زَمَنِ انْتِشَارِ الْوَبَاءِ؛ بَلْ وَفِي غَيْرِهِ عِنْدَ حُلُولِ الْفِتَنِ وَالْمِحَنِ؛ وَقَانَا اللهُ شَرَّهَا، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَقَدْ ذَكَرْتُ فِيهَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَعْلَمًا، فَجَاءَتْ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

تَمْهِيدٌ: فِي تَعْرِيفِ الْوَبَاءِ وَالطَّاعُونِ وَفَيْرُوسِ كُورُونَا (كُوفِيد – ١٩).

الْمَعْلَمُ الْأَوَّلُ: تَذَكُّرُ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ، وَشُكْرُ الْمُنْعِمِ عَلَيهَا، يَدْفَعُ الْعَذَابَ وَيَرْفَعُهُ.

الْمَعْلَمُ الثَّانِي: الْيَقِينُ بِأَنَّ الِابْتِلَاءَ سُنَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ، وَأَنَّهُ مِنْ مُقْتَضَى حِكْمَةِ اللهِ سُبْحَانَه وَتَمامِ عَدْلِهِ.

الْمَعْلَمُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الدَّاءَ وَجَعَلَ لَهُ الدَّوَاءَ.

الْمَعْلَمُ الرَّابِعُ: الْقُرْبُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَالْفَزَعَ إِلَى تَوْحِيدِهِ أَعْظَمُ دَوَاءٍ لِرَفْعِ الْوَبَاءِ.

الْمَعْلَمُ الْخَامِسُ: الْفَزَعُ إِلَى الصَّلَاةِ فَرْضًا وَنَفْلًا.

الْمَعْلَمُ السَّادِسُ: تِلاوَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلُزُومُ الذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ، وَالْإِسْتِغْفارِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ﷺ.

الْمَعْلَمُ السَّابِعُ: مَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ، وَصُنْعُ الْمَعْرُوفِ، وَبَذْلُ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ.

الْمَعْلَمُ الثَّامِنُ: التَّوْبَةُ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَتَرْكُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي.

الْمَعْلَمُ التَّاسِعُ: مُجَانَبَةُ اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، وَالتَّنَزُّهُ عَنِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَّةِ.

الْمَعْلَمُ الْعَاشِرُ: بَثُّ رُوحِ التَّفَاؤُلِ، وَنَشْرُ الْأَمَلِ، وَالْكَلَامِ الطَّيِّبِ.

الْمَعْلَمُ الْحَادِي عَشَرَ: تَرْكُ الشَّائِعَاتِ، وَالْحَذَرُ مِنْ إِفْشَاءِ الْأَخْبَارِ.

الْمَعْلَمُ الثَّانِي عَشَرَ: الْاِلْتِزَامُ بِتَعْلِيمَاتِ الْجِهَاتِ الرَّسْمِيَّةِ، وَفَتَاوَىٰ الْهَيْئَاتِ وَاللِّجَانِ الْعِلْمِيَّةِ.

الْمَعْلَمُ الثَّالِثُ عَشَرَ: عَدَمُ التَّعَرُّضِ لِلْوَبَاءِ، وَطَلَبُ الْمُعَافَاةِ، وَلُزُومُ الْحَجْرِ الْمَنْزِلِيِّ.

الْمَعْلَمُ الرَّابِعُ عَشَرَ: مَا يَجِبُ فِعْلُهُ عَلَىٰ مَنِ ابْتُلِيَ بِهَذَا الْوَبَاءِ.

وَقَدْ أَسْمَيْتُهَا: «مَعَالِمُ الْهُدَىٰ فِي زَمَنِ انْتِشَارِ الوَبَا»[١].

---

(١) وَكُنْتُ قَدْ أَلْقَيْتُ أَصْلَهَا فِي حَلَقَاتٍ تَوْعَوِيَّةٍ بُثَّتْ عَبْرَ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الاِجْتِمَاعِيِّ، وَقَامَ بِتَفْرِيغِهَا الْأَخَوَانِ الْفَاضِلَانِ: نَصْرُ الدِّينِ الْعَقُّونُ، وَسَلِيمُ قَاسِمِيّ، وَفَّقَهُمَا اللهُ، وَسَدَّدَ خُطَاهُمَا، وَجَزَاهُمَا كُلَّ خَيْرٍ. وَجزَىٰ اللهُ خَيْرًا جَمِيعَ الإِخْوَةِ الذِينَ أَفَادُونِي بِفَوَائِدَ، وَأَعَانُونِي عَلَىٰ إِنْجَازِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَطَبْعِهَا، أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَ جَمِيعَ ذَلِكَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِمْ يَوْمَ الْحِسَابِ.

وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِهَا كَاتِبَهَا، وَقَارِئَهَا، وَسَامِعَهَا، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنِّي مَا وَقَعَ لِي فِيهَا مِنْ خَطَإٍ وَخَلَل، وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ صَوَابٍ فَالْفَضْلُ لِلَّهِ وَحْدَهُ عَزَّ وَجَلَّ. كَمَا أَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَرْفَعَ عَنَّا هَذَا الْوَبَاء، وَأَنْ يَدْفَعَ عَنَّا كُلَّ بَلَاء، وَأَلَّا يُؤَاخِذَنَا بِذُنُوبِنَا وَلَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء؛ إِنَّهُ أَهْلُ الْجُودِ وَالْعَطَاءِ وَالسَّخَاء. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

كَتَبَهُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بُونُوَّاشَةَ الجَزَائِرِيُّ.

اَلْأَحَدُ ١٢ شَعْبَانَ ١٤٤٠هـ، اَلْمُوَافِقُ: ٢٠٢٠/٠٤/٠٥م.

تَمْهِيدٌ: تَعْرِيفُ الْوَبَاءِ وَالطَّاعُونِ وَفَيْرُوسِ كُورُونَا (كُوفِيدْ – ١٩).

✓تَعْرِيفُ الْوَبَاءِ.

الوَبَاءُ لُغَةً: هُوَ كلُّ مَرَضٍ عامٍّ[١].

واصْطِلاحًا: هُوَ مَرَضٌ يَعُمُّ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ فِي جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ دون غيرها؛ بِخِلَافِ الْمُعْتَادِ مِنْ أحوال النَّاسِ وَأَمْرَاضِهِم، وَيَكُونُ مَرَضُهُمْ غَالِبًا مَرَضًا وَاحِدًا بِخِلَافِ سَائِرَ الْأَوْقَاتِ فإنَّ أَمْرَاضَ النَّاسِ مُخْتَلِفَةٌ[٢].

قَالَ أَبُو عَلِيِّ ابْنُ سِينَا: الْوَبَاءُ هُوَ بَعْضُ تَعَفُّنٍ يَعْرِضُ فِي الْهَوَاءِ يُشْبِهُ تَعَفُّنَ الْمَاءِ الْمُسْتَنْقَعِ الآجِنِ.اهـ[٣].

وَقَالَ ابنُ النَّفِيس: الوَبَاءُ : فَسادٌ يَعْرِض لِجَوْهَرِ الهَوَاءِ لأَسبابٍ سَمَاوِيّة أَو أَرْضِيَّة.اهـ[٤].

✓تَعْرِيفُ الطَّاعُونِ.

فَمِنْ حَيْثُ اللُّغَةُ: الطَّاعُونُ هُوَ دَاءٌ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْوَبَاءِ[٥].

---

(١) اُنْظُرْ: مُخْتَارُ الصِّحَاحِ ص ٣٣٢؛ لِسَانُ الْعَرَبِ ١/١٨٩.

(٢) اُنْظُرْ: الْمُنْتَقَى شَرْحُ الْمُوَطَّأ لِلْبَاجِي ٧/١٩٨؛ فَتْحُ الْبَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيّ لِابْنِ حَجَرٍ ١٠/١٨٠، ١٨١.

(٣) الْقَانُونُ فِي الطِّبِّ لِابْنِ سِينَا ١/١٢٥.

(٤) تَاجُ الْعَرُوسِ لِلزَّبِيدِيِّ ١/٤٧٨.

(٥) اُنْظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ ١٣/٢٦٧.

وأمَّا اصْطِلاحًا: فَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَطِبَّاءِ مِنْهُمْ أَبُو عَلِيّ ابْنُ سِينَا: الطَّاعُونُ مَادَّةٌ سُمِّيَّةٌ تُحْدِثُ وَرَمًا قَتَّالًا يَحْدُثُ فِي الْمَوَاضِعِ الرَّخْوَةِ وَالْمَغَابِنِ مِنَ الْبَدَنِ، وَأَغْلَبُ مَا تَكُونُ تَحْتَ الْإِبْطِ أَوْ خَلْفَ الْأُذُنِ أَوْ عِنْدَ الْأَرْنَبَةِ[١]..

وَهَلِ الطَّاعونُ هَوَ الوَبَاءُ ؟ اخْتَلَفُوا في ذَلِك.

وَلَمَّا كَانَتِ الطَّوَاعِينُ تَكْثُرُ عِندَ الوَبَاءِ، وَفِي البِلَادِ الْوَبِئَةِ، فَمِنْ ثَمَّ أُطْلِقَ عَلَى الطَّاعُونِ وَبَاءٌ، وَبِالعَكْسِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ بَيْنَ الْوَبَاءِ وَالطَّاعُونِ عُمُومًا وَخُصُوصًا؛ فَكُلُّ طَاعُونٍ وَبَاءٌ، وَلَيْسَ كُلُّ وَبَاءٍ طَاعُونًا، وَكَذَلِكَ الْأَمْرَاضُ الْعَامَّةُ أَعَمُّ مِنَ الطَّاعُونِ فَإِنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهَا.اهـ[٢].

✓تَعْرِيفُ فَيْرُوسِ كُورُونَا[٣]:

فَيرُوسَاتُ كُورُونَا هِيَ فَصِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الفَيْرُوسَاتِ تُسَبِّبُ المَرَضَ لِلْحَيَوانِ وَالإِنْسَانِ.

وتُسَبِّبُ فَيْرُوسَاتُ كُورُونَا لَدَى البَشَر حَالَاتِ عَدْوَى الجِهَازِ التَّنَفُّسِيِّ؛ التِي تَتَرَاوَحُ حِدَّتُهَا مِنْ نَزَلَاتِ الْبَرْدِ الشَّائِعَةِ إِلَى الْأَمْرَاضِ الْأَشَدِّ وَخَامَةً.

---

(١) أُنْظُرْ: زَادُ الْمَعَادِ لابْنِ الْقَيِّمِ ٣٥/٤؛ فَتْحُ الْبَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيّ لِابْنِ حَجَرٍ ١٠ /١٨٠؛ الْقَانُونُ فِي الطِّبِّ لابْنِ سِينَا ١٦٤/٣، ١٦٥.

(٢) زَادَ الْمُعَادُ ٣٥/٤ ، ٣٦.

(٣) الْمَعْلُومَاتُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِفِيرُوسِ كُورُونَا (كُوفِيدْ – ١٩) اسْتَقَيْتُهَا مِنْ مَوْقِعِ مُنْظَّمَةِ الصِّحَّةِ الْعَالَمِيَّةِ بِشَيْءٍ مِنَ التَّصَرُّفِ وَالِاخْتِصَارِ.

كَمَا يُسَبِّبُ فَيْرُوسُ كُورُونا الْمُكْتَشَفُ مُؤَخَّرًا مَرَضَ فَيْرُوسِ كُورُونا كُوفِيدْ-١٩.

✓تَعْرِيفُ مَرَضِ كُوفِيد-١٩:

مَرَضُ كُوفِيد-١٩ هُوَ مَرَضٌ مُعْدٍ يُسبِّبُهُ فَيْرُوسُ كُورُونَا.

وَلَمْ يَكُنْ هَنَاكَ أَيُّ عِلْمٍ بوُجُودِ هَذَا الْفَيْرُوسِ، وَهَذَا الْمَرَضُ الْمُسْتَجَدُّ، قَبْلَ تَفَشّيهِ فِي مَدِينَةِ يُوهَانَ الصِّينِيةِ فِي كَانُونَ الأَوَّلِ/ دِيسَمْبَر ٢٠١٩[١].

✓أَعْرَاضُ مَرَضِ كُوفِيدْ-١٩:

تَتَمَثَّلُ الْأَعْرَاضُ الْأَكْثَرُ شُيُوعًا لِمَرَضِ كوفيد-١٩ في الحمَّى، والإرهاق، والسُّعال الجاف، وقد يُعاني بعضُ المرضى من الآلام والأوجاع، أو احتقان الأَنْف، أو الرَّشَح، أو أَلَمِ الحلق، أو الإِسْهالِ.

وَعَادَةً مَا تَكُونُ هَذِهِ الْأَعْرَاضُ خَفِيفَةً، وَتَبْدَأُ تَدْرِيجِيًا، وَقَدْ يُصَابُ بَعْضُ النَّاسِ بِالْعَدْوَى دُونَ أَنْ تَظْهَرَ عَلَيْهِمْ أَيُّ أَعْرَاضٍ، وَدُونَ أَنْ يَشْعُرُوا بِالْمَرَضِ. وَتَزْدَادُ احْتِمَالَاتُ إِصَابَةُ الْمُسِنّينَ، وَالْأَشْخَاصِ الْمُصَابِينَ بِمُشْكِلَاتٍ طِبيَّةٍ أَسَاسِيَّةٍ، (مِثْلُ: ارْتِفَاعُ ضَغْطِ الدَّمِ، أَوْ أَمراضِ الْقَلْبِ، أَوْ دَاءِ السُّكَّرِي)، بِأَمْرَاضٍ وَخِيمَةٍ.

✓كَيْفَ يَنْتَشِرُ مَرَضُ كُوفِيدْ - ١٩؟.

---

(١) قُلْتُ: وَهَذَا يَتَوَافَقُ مَعَ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ السَّلَفِ أَنَّ الْعَذَابَ يَنْزِلُ بَيْنَ كَانُونِ الْأَوَّلِ وَكَانُونِ الثَّانِي، أَيْ: بَيْنَ دِيسَمْبَر وَجَانفِي، قَالَ قَتَادَةُ: «لَمْ يَنْزِلْ عَذَابٌ قَطُّ عَلَى قَوْمٍ إِلَّا عِنْدَ انْسِلَاخِ الشِّتَاءِ»، وَقَالَ كَعْبٌ الأَحْبَارُ: «مَا عَذَّبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدًا مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِينَ إِلَّا بَيْنَ الْكَانُونَيْنِ» أَخْرَجَهُمَا ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ الْعُقُوبَاتِ، ح: ٣٢٠، ٣٢١.

يُمْكِنُ أَنْ يُصَابَ الْأَشْخَاصُ بِعَدْوَى مَرَضِ كُوفِيدْ - ١٩ عَنْ طَرِيقِ الْأَشْخَاصِ الآخَرِينَ الْمُصَابِينَ بِالْفِيرُوسِ.

وَيُمْكِنُ لِلْمَرَضِ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ شَخْصٍ إِلَىٰ شَخْصٍ، عَنْ طَرِيقِ الْقُطَيْرَاتِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تَتَنَاثَرُ مِنَ الْأَنْفِ أَوْ الْفَمِ، عِنْدَمَا يَسْعَلُ أَوْ يَعْطِسُ الشَّخْصُ الْمُصَابُ بِمَرَضِ كُوفِيدْ - ١٩.

وَتَتَسَاقَطُ هَذِهِ الْقُطَيْرَاتُ عَلَى الْأَشْيَاءِ وَالْأَسْطُحِ الْمُحِيطَةِ بِالشَّخْصِ، وَيُمْكِنُ حِينَهَا أَنْ يُصَابَ الْأَشْخَاصُ الآخَرُون بِمَرَضِ كُوفِيدْ - ١٩ عِنْدَ مُلامَسَتِهِمْ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ، أَوْ الأَسْطُحِ، ثُمَّ لَمْسِ أَعْيُنِهِم، أَوْ أَنْفِهِم، أَوْ فَمِهِم.

كَمَا يُمْكِنُ أَنْ يُصَابَ الْأَشْخَاصُ بِمَرَضِ كُوفِيدْ - ١٩ إِذَا تَنَفَّسُوا الْقُطَيْرَاتِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ الشَّخْصِ الْمُصَابِ بِالْمَرَضِ مَعَ سُعَالِهِ أَوْ زَفِيرِهُ.

وَلِذَا؛ فَمِنَ الْأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ الِابْتِعَادُ عَنِ الشَّخْصِ الْمَرِيضِ بِمَسَافَةٍ تَزِيدُ عَلَى مِتْرٍ وَاحِدٍ(١).

******

(١) قُلْتُ: وَقَدْ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَنِ السَّلَفِ مِثْلُ هَذَا الِاحْتِرَازِ وَالِابْتِعَادِ عِمَّنْ بِهِ دَاءٌ مَعْدٍ؛ فَقَدْ كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ»، أَخْرَجُهُ: مُسْلِمٌ، ح: ٢٢٣١. وَعَنِ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لِلْمُعَيْقِيبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (وَكَانَ مَجْذُومًا): «اجْلِسْ مِنِّي قِيدَ رُمْحٍ»، قَالَ: «وَكَانَ بِهِ ذَاكَ الدَّاءُ، وَكَانَ بَدْرِيًّا». أَخْرَجُهُ: الطَّبَرِيُّ فِي تَهْذِيبِ الآثَارِ، ح: ٨٦، ٨٧.

الْمَعْلَمُ الْأَوَّلُ: تَذَكُّرُ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ، وَشُكْرُ الْمُنْعِمِ عَلَيهَا، يَدْفَعُ الْعَذَابَ وَيَرْفَعُهُ.

أَوَّلُ مَعْلَمٍ يَهْتَدِي بِهِ الْمُسْلِمُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الظُّرُوفِ الْعَصِيبَةِ التِي تَمُرُّ بِهَا الْبَشَرِيَّةُ أَنْ يَتَذَكَّرَ نِعَمَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الْكَثِيرَةَ عَلَيْهِ وَعَلَى النَّاسِ، فَاللهُ جَلَّ وَعَلَا قَدْ أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ نِعَمًا غَزِيرَةً لَا تُحْصَى، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فَتَذَكُّرُ النِّعَمِ وَاسْتِحْضَارُهَا زَمَنَ الْبَلَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ التِي تَجْعَلُ الْمُؤْمِنَ مُطْمَئِنَّ الْقَلْبِ، مُرْتَاحَ الْبَالِ، رَاضِيًا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، كَمَا أَنَّ شُكْرَ الْبَارِي عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهَا يَدْفَعُ عِقَابَ اللهِ تَعَالَى، وَيَرْفَعُ عَذَابَهُ.

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧].

قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يُعَذِّبُ شَاكِرًا وَلَا مُؤْمِنًا»(١).

قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَإِنَّمَا عُقُوبَتُهُ مَنْ عَاقَبَ مِنْ خَلْقِهِ جَزَاءٌ مِنْهُ لَهُ عَلَى جَرَاءَتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى خِلَافِهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَكُفْرَانِهِ شُكْرَ نِعَمِهِ عَلَيْهِ. فَإِنْ أَنْتُمْ شَكَرْتُمْ لَهُ عَلَى نِعَمِهِ وَأَطَعْتُمُوهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى تَعْذِيبِكُمْ،

---

(١) أَخْرَجَهُ: الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٧/٦٢٤.

بَلْ يَشْكُرُ لَكُمْ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ مِنْ طَاعَةٍ لَهُ وَشُكْرٍ، بِمُجَازَاتِكُمْ عَلَى ذَلِكَ بِمَا تَقْصُرُ عَنْهُ أَمَانِيّكُمْ فَلَمْ تَبْلُغْهُ آمَالُكُمْ.اهـ(١)

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَتَبَيَّنَ أَنَّ الْأَمْنَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَحُصُولَ السَّعَادَةِ إِنَّمَا هُوَ بِطَاعَتِهِ تَعَالَى لِقَوْلِهِ: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾ [النساء: ١٤٧].اهـ(١)

فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَتَذَكَّرَ نِعَمَ اللهِ تَعَالَى الْكَثِيرَةَ، وَمِنَنَهُ الْغَزِيرَةَ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنَّ أَعْظَمَ نِعْمَةٍ مَنَّ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ أَنْ هَدَاهُمْ لِمَعَالِمِ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى مَحَاسِنِ هِذِهِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ الَّتِي بِهَا مَصَالِحُ الْعِبَادِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَمَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، وَجَعَلَ السَّبِيلَ إِلَى تَحْقِيقِ ذَلِكَ اتِّبَاعُ هَدْيِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ١٠٧]، وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النُّورُ: ٥٦]، فَبِاقْتِفَاءِ أَثَرِهِ، وَتَحْكِيمِ شَرْعِهِ، تَتَنَزَّلُ الرَّحَمَاتُ، وَتُرْفَعُ الْمَصَائِبُ، وَتُفَرَّجُ الْكُرُبَاتُ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَجْمَعُ مَصَالِحَ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ؛ فَإِنَّهُ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ فِي شَرِيعَتِهِ مَا فَرَّقَهُ فِي شَرَائِعَ مَنْ

---

(١) تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ ٧/٦٢٣.

قَبْلَهُ مِنَ الْكَمَالِ؛ إِذْ لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ فَكَمُلَ بِهِ الْأَمْرُ كَمَا كَمُلَ بِهِ الدِّينُ. فَكِتَابُهُ أَفْضَلُ الْكُتُبِ وَشَرْعُهُ أَفْضَلُ الشَّرَائِعِ وَمِنْهَاجُهُ أَفْضَلُ الْمَنَاهِجِ وَأُمَّتُهُ خَيْرُ الْأُمَمِ.اهـ[٢]

وَمِنَ النِّعَمِ الَّتِي تَخْفَى عَلَى أَكْثَرِ النَّاسِ زَمَنَ الْبَلَاءِ أَنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يُنْزِلْ عَلَيْهِمْ بَلَاءً أَشَدَّ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ عَذَابًا مَا يَتْرُكُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ، وَلَكِنْ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى سَبَقَتْ غَضَبَهُ.

فَيَنْبَغِي عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَشْكُرَ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ لَمْ يَبْتَلِهِ بِبَلَاءٍ أَشَدَّ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ، فَعَنْ حَبِيبِ بْنِ عُبَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَا ابْتَلَى اللَّهُ عَبْدًا ابْتِلَاءً إِلَّا كَانَ لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ نِعْمَةٌ أَلَّا يَكُونَ ابْتَلَاهُ بِأَشَدَّ مِنْهُ»[٣].

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ يُقَالُ: «لَيْسَ بِفَقِيهٍ مَنْ لَمْ يَعُدَّ الْبَلَاءَ نِعْمَةً، وَالرَّخَاءَ مُصِيبَةً»[٤].

قَالَ شُرَيْحٌ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللهُ: «إِنِّي لَأُصَابُ بِالْمُصِيبَةِ فَأَحْمَدُ اللهَ عَلَيْهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، أَحْمَدُهُ إِذْ لَمْ تَكُنْ أَعْظَمَ مِمَّا هِيَ، وَأَحْمَدُهُ إِذْ رَزَقَنِي الصَّبْرَ عَلَيْهَا،

---

(١) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى ٤٣٣/٢٧.
(٢) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى ١٥٩/٢٣.
(٣) أَخْرَجَهُ: اِبْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الشُّكْرِ، ح: ١٣١.
(٤) أَخْرَجَهُ: اِبْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الشُّكْرِ، ح: ٨١.

وَأَحْمَدُهُ إِذْ وَفَّقَنِي لِلِاسْتِرْجَاعِ لِمَا أَرْجُو فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ، وَأَحْمَدُهُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْهَا فِي دِينِي»[١].

وَلْيَعْتَبِرِ الْعَاقِلُ هَذَا الْوَبَاءَ بِمَا سَبَقَ وَحَلَّ بِالْبَشَرِيَّةِ مِنَ الْأَوْبِئَةِ وَالطَّوَاعِينِ، لِيَعْلَمَ سَعَةَ رَحْمَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَعَظِيمَ عَفْوِهِ وَحِلْمِهِ بِنَا.

✓فَفِي طَاعُونِ عَمَوَاسَ تُوُفِّيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّامِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. وَقِيلَ: ثَلَاثُونَ أَلْفًا[٢].

✓وَفِي الطَّاعُونِ الْجَارِفِ بِالْبَصْرَةِ سَنَةِ ٦٩هـ، مَاتَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْهُ مَاتَ أَحَدٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْهُ مَاتَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا، وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ مَوْتَى إِلَّا قَلِيلًا مِنْ آحَادِ النَّاسِ[٣].

✓وَفِي سَنَةَ ٤٤٩هـ وَقَعَ وَبَاءٌ عَظِيمٌ، حَيْثُ كَانَ الْغَلَاءُ وَالْفَنَاءُ بِبَغْدَادَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، فَخَلَتْ أَكْثَرُ الدُّورِ وَسُدَّتْ عَلَى أَهْلِهَا أَبْوَابُهَا بِمَا فِيهَا، وَأَهْلُهَا فِيهَا مَوْتَى، وَأَكَلَ النَّاسُ الْجِيَفَ وَالْمِيَاتَ مِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ، وَأُحْصِيَ مَنْ مَاتَ فِي هَذَا الْوَبَاءِ بِبُخَارَى أَلْفُ أَلْفٍ وَخَمْسُمِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفَ إِنْسَانٍ، وَالنَّاسُ يَمُرُّونَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ، فَلَا يَرَوْنَ إِلَّا أَسْوَاقًا فَارِغَةً وَطُرُقَاتٍ

---

(١) أَخْرَجَهُ: الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، ح: ٩٥٠٧.

(٢) الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ١٠/٧٦.

(٣) الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ١١/٧١٩.

خَالِيَةً، وَأَبْوَابًا مُغْلَقَةً، وَوَقَعَ وَبَاءٌ بِالْأَهْوَازِ وَأَعْمَالِهَا وَبِوَاسِطٍ وَالنِّيلِ وَالْكُوفَةِ وَطَبَّقَ الْأَرْضَ، وَكَانَ أَكْثَرَ سَبَبِ ذَلِكَ الْجُوعُ، حَتَّى كَانَ الْفُقَرَاءُ يَشْوُونَ الْكِلَابَ، وَيَنْبُشُونَ الْقُبُورَ، وَيَشْوُونَ الْمَوْتَى وَيَأْكُلُونَهُمْ، وَلَيْسَ لِلنَّاسِ شُغْلٌ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا غَسْلُ الْأَمْوَاتِ وَتَجْهِيزُهُمْ وَدَفْنُهُمْ، وَقَدْ كَانَتْ تُحْفَرُ الْحُفَيْرَةُ، فَيُدْفَنُ فِيهَا الْعِشْرُونَ وَالثَّلَاثُونَ[١].

******

(١) الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ١٥/٧٤١ – ٧٤٢.

الْمَعْلَمُ الثَّانِي: الْيَقِينُ بِأَنَّ الِابْتِلَاءَ سُنَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ، وَأَنَّهُ مِنْ مُقْتَضَى حِكْمَةِ اللهِ سُبْحَانَه وَتَمَامِ عَدْلِهِ.

مِنْ مَعَالِمِ الْهَدَى زَمَنَ انْتِشَارِ الْوَبَاءِ: أَنْ يُوقِنَ الْعَبْدُ أَنَّ الِابْتِلَاءَ سُنَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ مَاضِيَةٌ فِي خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ، وَأَنَّهُ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ حِكْمَةِ اللهِ –سُبْحَانَهُ– وَتَمَامِ عَدْلِهِ، فَهُوَ جَلَّ جَلَالُهُ يُفْقِرُ وَيُغْنِي، وَيُصِحُّ وَيُمْرِضُ، وَيُخَوِّفُ وَيُؤَمِّنُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ؛ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الْأَعْرَافُ: ١٦٨]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٣٥]، يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: « بِالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالصِّحَّةِ وَالسَّقَمِ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ »[1].

وَمَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ إِنْ كَانَ يَسُرُّهُ فَهُوَ نِعْمَةٌ بَيِّنَةٌ، وَإِنْ كَانَ يَسُوؤُهُ فَهُوَ نِعْمَةٌ أَيْضًا؛ إِمَّا مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ يُكَفِّرُ خَطَايَاهُ وَيُثَابُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَإِمَّا مِنْ جِهَةِ أَنَّ فِيهِ حِكْمَةً وَرَحْمَةً لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢١٦]، وَصَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذْ

---

(١) أَخْرَجَهُ: ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ، ح: ١٣٦٥٤.

يَقُولُ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلِهَذَا وَضَعَ اللهُ الْمَصَائِبَ وَالْبَلَايَا وَالْمِحَنَ رَحْمَةً بَيْنَ عِبَادِهِ، يُكَفِّرُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَرِهَتْهَا أَنْفُسُهُمْ وَلَا يَدْرِي العَبْدُ أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، نِعْمَتُهُ عَلَيْهِ فِيمَا يَكْرَهُ، أَوْ نِعْمَتُهُ عَلَيْهِ فِيمَا يُحِبُّ، وَمَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ هَمٍّ، وَلَا وصَبٍ، وَلَا أَذًى، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ، وَإِذَا كَانَ لِلذُّنُوبِ عُقُوبَاتٌ وَلَا بُدَّ فَكُلُّ مَا عُوقِبَ بِهِ العَبْدُ مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا بَعْدَهُ وَأَيْسَرُ وَأَسْهَلُ بِكَثِيرٍ.اهـ(١)

وَهَذَا الْوَبَاءُ الذِي حَلَّ بِالْبَشَرِيَّةِ هَلْ هُوَ شَرٌّ أَمْ هُوَ خَيْرٌ؟، وَهَلِ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرَادَ بِنَا سُوءًا؟، أَمْ أَرَادَ بِنَا خَيْرًا؟.

أَوَّلًا: يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ شَرًّا مَحْضًا، فَلَيْسَ فِي خَلْقِ اللهِ تَعَالَى مَا هُوَ شَرٌّ مَحْضٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَكُلُّ مَا خَلَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِمَّا ظَاهِرُهُ الشَّرُّ فَهُوَ شَرٌّ جُزْئِيٌّ، مِنْ وَجْهٍ دُونَ

(١) أَخْرَجَهُ: مُسْلِمٌ، ح: ٢٩٩٩.

وَجْهٍ، لَيْسَ شَرًّا عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَالشَّرُّ الْمَوْجُودُ هُوَ فِي الْمَخْلُوقِ وَلَيْسَ فِي فِعْلِ الْخَالِقِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»[٢].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكُلُّ مَا خَلَقَهُ – مِمَّا فِيهِ شَرٌّ جُزْئِيٌّ إِضَافِيٌّ – فَفِيهِ مِنَ الْخَيْرِ الْعَامِّ، وَالْحِكْمَةِ، وَالرَّحْمَةِ، أَضْعَافُ ذَلِكَ .اهـ[٣]

وَقَالَ أَيْضًا: وَلَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ مَا يُؤْلِمُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ دَائِمًا وَلَا مَا يُؤْلِمُ جُمْهُورَهُمْ دَائِمًا؛ بَلْ مَخْلُوقَاتُهُ إِمَّا مُنْعِمَةٌ لَهُمْ، أَوْ لِجُمْهُورِهِمْ فِي أَغْلَبِ الْأَوْقَاتِ؛ كَالشَّمْسِ وَالْعَافِيَةِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ مَا هُوَ شَرٌّ مُطْلَقًا عَامًّا.

فَعُلِمَ أَنَّ الشَّرَّ الْمَخْلُوقَ الْمَوْجُودَ شَرٌّ مُقَيَّدٌ خَاصٌّ، وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ هُوَ بِهِ خَيْرٌ وَحُسْنٌ، وَهُوَ أَغْلَبُ وَجْهَيْهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ [السَّجْدَةُ : ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النَّمْلُ: ٨٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الْأَحْقَافُ: ٣]، وَقَالَ: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ

---

(١) مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ ٢٩١/١.

(٢) أَخْرَجَهُ: مُسْلِمٌ، ح: ٧٧١.

(٣) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى ٢٧٦/١٤.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٩١].
وَقَدْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا مَا إِلَّا لِحِكْمَةٍ؛ فَتِلْكَ الْحِكْمَةُ وَجْهُ حُسْنِهِ وَخَيْرِهِ وَلَا يَكُونُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ شَرٌّ مَحْضٌ لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا فَائِدَةَ فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ .اهـ[١]

ثَانِيًا: أَنَّ هَذَا الْوَبَاءَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ وَالنَّفْعِ الْعَمِيمِ مَالَا يَعْرِفُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ الْخَيرِ الذِي جَاءَ بِهِ هَذَا الْوَبَاءُ، وَجَاءِ بِهِ هَذَا الْفَيْرُوسُ (فَيْرُوسُ كُورُونَا):

- أَنَّهُ أَظْهَرَ لَنَا عَظَمَةَ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا، وَكَمَالَ مُلْكِهِ وَتَصَرُّفِهِ فِي مَلَكُوتِهِ، وَقَهْرِهِ وَجَبَرُوتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَأَنَّ اللهَ بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، يَفْعَلُ بِخَلْقِهِ مَا يَشَاءُ، لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ.

- وَمِنَ الْخَيْرِ الذِي جَاءَ بِهِ هَذَا الْفَيْرُوس أَنَّهُ أَوْجَبَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ خَوْفًا مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَأَوْجَبَ لَهُمْ رُجُوعًا إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَحْدَثَ فِي قُلُوبِ الْعُصَاةِ وَالْمُذْنِبِينَ تَوْبَةً وَأَوْبَةً وَإِنَابَةً إِلَى اللهِ عَزَّ شَأْنُهُ، كَمَا أَوْجَبَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ تَذَلُّلًا للهِ سُبْحَانَهُ بِكَثْرَةِ دُعَائِهِ وَالْإِلْحَاحِ عَلَيْهِ.

---

(١) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى ١٤/٢٠، ٢١.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ التَّنُوخِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ دَاوُدُ النَّبِيُّ ﷺ: سُبْحَانَ مُسْتَخْرِجِ الدُّعَاءِ بِالْبَلَاءِ، سُبْحَانَ مُسْتَخْرِجِ الشُّكْرِ بِالرَّخَاءِ»[١].

- وَمِنَ الْخَيْرِ الذِي جَاءَ بِهِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَهَرَ وَأَذَلَّ بِهَذَا الْفَيْرُوس جَبَرُوتَ الظَّلَمَةِ، وَتَسَلُّطَهُمْ، وَتَعَدِّيهِمْ، وَجَوْرَهُمْ، وَعُدْوَانَهُمْ عَلَى خَلْقِ اللهِ تَعَالَى.

- وَمِنَ الْخَيْرِ الذِي جَاءَ بِهِ هَذَا الْفَيْرُوس أَنَّهُ كَسَرَ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرَ النَّاسِ مِنَ الرُّكُونِ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَذَّاتِ، كَمَا حَطَّمَ مَذْهَبَ الْمَلَاحِدَةِ الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِمَا هُوَ مَرْئِيٌّ، وَمَادِّيٌّ، وَمَحْسُوسٌ.

- وَمِنَ الْخَيْرِ الذِي جَاءَ بِهِ هَذَا الْفَيْرُوس أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دَافَعَ بِهِ عَنِ الذِيْنَ آمَنُوا، وَدَفَعَ بِهِ كَثِيرًا مِنَ الشَّرِّ عَنِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَقَاهُمُ اللهُ بِهِ شَرًّا عَظِيمًا، وَأَشْغَلَ بِهِ كَثِيرًا مِنَ الظَّلَمَةِ وَالْمُعْتَدِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَرْقًا وَغَرْبًا.

- وَمِنَ الْخَيْرِ الذِي جَاءَ بِهِ هَذَا الْفَيْرُوس أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحْيَا بِهِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ رُوحَ التَّعَاوُنِ وَالتَّكَافُلِ الذِي قَلَّ وُجُودُهُ وَكَادَ أَنْ يَنْدَثِرَ، فَصَارَ النَّاسُ يَتَعَاوَنُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَيُحْسِنُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَنَسَوُا الْأَحْقَادَ، وَذَابَتِ الْعَدَوَاةُ، وَزَالَتِ الْبَغْضَاءُ.

(١) أَخْرَجَهُ: اِبْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ، ح: ٢٢.

- وَمِنَ الْخَيْرِ الذِي جَاءَ بِهِ هَذَا الْفَيْرُوس أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا فَتَحَ وَسَيَفْتَحُ بِهِ - بِإِذْنِ اللهِ - مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ مِنَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَقِفُونَ عَلَيْهَا أَوْ يَكْتَشِفُونَهَا إِلَّا مِنْ جَرَّاءِ هَذَا الْفَيْرُوس.

- وَمِنَ الْخَيْرِ الذي جَاءَ بِهِ هَذَا الْفَيْرُوس أَنْ كَانَ سَبَبًا لِتَقْوِيَةِ الْعَبْدِ الصِّلَةَ بِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَقَارِبِهُ؛ عِلْمًا وَتَعَلُّمًا وَتَأْدِيبًا وَمُعَاشَرَةً حَسَنَةً، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ الْخَاصَّةِ التِي كَانَتْ مَفْقُودَةً مِنْ قَبْلُ؛ إِذْ كَانَ الْكَثِيرُ مِنَّا مُنْشَغِلًا عِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ بِحَاجِيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ، فَلَمَّا حَلَّ هَذَا الْفَيْرُوس، وَأُلْزِمَ النَّاسُ الْحَجْرَ الْمَنْزِلِيَّ صَارُوا أَقْرَبَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَأَكْثَرَ نَفْعًا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ.

- وَمِنَ الْخَيْرِ الذِي جَاءَ بِهِ هَذَا الْفَيْرُوس أَنْ كَفَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنِ الشَّرِّ، وَالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي التِي كَانُوا مُعْتَادِينَ عَلَى اقْتِرَافِهَا، وَمُدْمِنِينَ عَلَى مُوَاقَعَتِهَا.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَيَفْتَحُ لَنَا مِنَ الْخَيْرَاتِ الْعَظِيمَةِ مِنْ جَرَّاءِ هَذَا الْفَيْرُوس، فَلَا تَظُنَّنَّ يَا عَبْدَ اللهِ أَنَّ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مِنْ هَذَا الْوَبَاءِ وَالْعَذَابِ شَرٌّ مَحْضٌ؛ بَلْ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ.

******

الْمَعْلَمُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الدَّاءَ وَجَعَلَ لَهُ الدَّوَاءَ.

وَمِنْ مَعَالِمِ الْهُدَى فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ الْعَصِيبَةِ: أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ وَيُؤْمِنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْأَمْرَاضَ، وَالْعِلَلَ، وَالْأَسْقَامَ، وَخَلَقَ لَهَا الْأَدْوِيَةَ، وَجَعَلَ لَهَا الْأَشْفِيَةَ، كَمَا فِي حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، أنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، فَجَاءَ الْأَعْرَابُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَتَدَاوَى؟ فَقَالَ: «تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ»[(١)].

وَالْوَبَاءُ مِنْ هَذَا الْبَابِ؛ فَمَا هُوَ مُنْتَشِرٌ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يُسَمَّى بِـ (فَيْرُوس كُورُونَا) دَاخِلٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ، لَا يَخْرُجُ عَنْهُ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الذِي خَلَقَهُ، وَأَنْزَلَهُ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ عَلَى خَلْقِهِ، فَلَا يَنْشَغِلُ الْمُؤْمِنُ بِمَا يَنْشَغِلُ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ تَحْلِيلَاتٍ، وَتَصَوُّرَاتٍ، وَتَكَهُّنَاتٍ، وَتَخْمِينَاتٍ؛ حَوْلَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا الْفَيْرُوس ؟، وَمَنْ صَنَعَهُ ؟، وَمَنْ نَشَرَهُ ؟، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

فَكُلُّ هَذَا وَإِنْ حَصَلَ؛ فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ الْأَسْبَابِ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا هُوَ خَالِقُ الْأَسْبَابِ، وَهُوَ الذِي أَرَادَ مِثْلَ هَذَا أَنْ يَكُونَ وَهَيَّأَ لَهُ أَسْبَابَهُ، وَأَرَادَ أَنْ يَفْشُوَ وَيَنْتَشِرَ، مَهْمَا احْتَاطَ الْبَشَرُ، وَمَهْمَا تَحَرَّزُوا مِنْهُ، فَلَنْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الْأَنْعَام: ١١٢].

---

(١) أَخْرَجَهُ: أَبُو دَاوُدَ، ح: ٣٨٥٥.

وَلَا يُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يُسْلِمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ لِمِثْلِ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ وَالْأَوْبِئَةِ، وَيَحْتَجَّ بِالْقَدَرِ؛ بَلِ الْوَاجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَسْعَى فِي تَحْقِيقِ وَتَحْصِيلِ الْأَدْوِيَةِ الْكَوْنِيَّةِ الْقَدَرِيَّةِ، وَالْأَدْوِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَالْأَدْوِيَةُ الْكَوْنِيَّةُ سَبِيلُهَا النَّظَرُ فِي مَا خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الطَّبِيعَةِ، وَالْكَشْفُ عَنْ بَدِيعِ صُنْعِ اللهِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ، وَاسْتِخْرَاجُ سِرِّ مَا أَوْدَعَهُ اللهُ تَعَالَى فِيهَا؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٣].

وَأَمَّا الْأَدْوِيَةُ الشَّرْعِيَّةُ؛ فَسَبِيلُهَا: مَعْرِفَةُ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى قَلْبِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ ﷺ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُؤْمِنَ كُلَّمَا اسْتَرْشَدَ بِدِينِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَكَانَ أَقْرَبَ إِلَى شَرْعِهِ، وَأَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، كَانَ أَحْظَى بِالْعِلَاجِ وَبِالشِّفَاءِ النَّاجِعِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الظُّرُوفِ.

وَسَأَتَكَلَّمُ - بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى - بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ عَنِ الْأَدْوِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ أَنْ يَجْتَهِدُوا فِي تَحْقِيقِهَا؛ لِأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ مُتَّجِهَةٍ قُلُوبُهُمْ نَحْوَ مَا يَصْنَعُهُ الْخَلْقُ مِنْ أَدْوِيَةٍ كَوْنِيَّةٍ قَدَرِيَّةٍ، وَيَتَرَقَّبُونَ الْفَرَجَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، وَقَدْ نَسُوا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ الدَّاءِ،

وَهُوَ الذِي يَخْلُقُ الدَّوَاءَ وَالشِّفَاءَ، فَأَقْرَبُ طَرِيقٍ إِلَى تَعْجِيلِ الشِّفَاءِ وَإِنْزَالِهِ هُوَ اللُّجُوءُ إِلَى خَالِقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِنَّ الْأَدْوِيَةَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ يَحْصُلُ الشِّفَاءُ بِغَيْرِ الْأَدْوِيَةِ كَالدُّعَاءِ وَالرُّقْيَةِ، وَهُوَ أَعْظَمُ نَوْعَيِ الدَّوَاءِ. حَتَّى قَالَ بقراط: نِسْبَةُ طِبِّنَا إِلَى طِبِّ أَرْبَابِ الْهَيَاكِلِ كَنِسْبَةِ طِبِّ الْعَجَائِزِ إِلَى طِبِّنَا. وَقَدْ يَحْصُلُ الشِّفَاءُ بِغَيْرِ سَبَبٍ اخْتِيَارِيٍّ بَلْ بِمَا يَجْعَلُهُ اللَّهُ فِي الْجِسْمِ مِنْ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.اهـ[١]

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلِهَذَا أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالْعِتْقِ وَالصَّدَقَةِ عِنْدَ الْخُسُوفِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الدُّعَاءَ وَالْبَلَاءَ يَلْتَقِيَانِ فَيَعْتَلِجَانِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. وَالْمُنَجِّمُونَ يَعْتَرِفُونَ بِذَلِكَ حَتَّى قَالَ كَبِيرُهُمْ "بَطْلَيْمُوسُ": ضَجِيجُ الْأَصْوَاتِ فِي هَيَاكِلِ الْعِبَادَاتِ بِفُنُونِ الدَّعَوَاتِ مِنْ جَمِيعِ اللُّغَاتِ يُحَلِّلُ مَا عَقَدَتْه الْأَفْلَاكُ الدَّائِرَاتُ.اهـ[٢]

******

(١) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى ١٤/٢٦٨.

(٢) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى ٢٥/١٩٩.

الْمَعْلَمُ الرَّابِعُ: الْقُرْبُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَالْفَزَعُ إِلَى تَوْحِيدِهِ أَعْظَمُ دَوَاءٍ لِرَفْعِ الْوَبَاءِ.

مِنْ مَعَالِمِ الْهُدَى فِي زَمَنِ انْتِشَارِ الْوَبَاءِ: أَنْ يَعْلَمَ الْمُسْلِمُ أَنَّ أَنْفَعَ الْأَدْوِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ هُوَ قُرْبُ الْعَبْدِ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالْأُنْسُ بِهِ، وَتَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ لَهُ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ. فَإِذَا قَرُبَ الْعَبْدُ مِنْ مَوْلَاهُ جَلَّجَلَالُهُ وَتَعلَّقَ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ جَلَّ فِي عُلَاهُ، فَإِنَّهُ سَيَطْمَئِنُّ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَسَتَقْوَى نَفْسُهُ عَلَى تَحَمُّلِ الْمَصَائِبِ، وَدَفْعِهَا إِنْ حَلَّتْ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1].

يَقُولُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ٦٥٠٢.

إِنَّ الْقَلْبَ مَتَىٰ اتَّصَلَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَخَالِقِ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ، وَمُدَبِّرِ الطَّبِيعَةِ وَمُصَرِّفِهَا عَلَىٰ مَا يَشَاءُ كَانَتْ لَهُ أَدْوِيَةٌ أُخْرَىٰ غَيْرُ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي يُعَانِيهَا الْقَلْبُ الْبَعِيدُ مِنْهُ الْمُعْرِضُ عَنْهُ، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ مَتَىٰ قَوِيَتْ، وَقَوِيتِ النَّفْسُ وَالطَّبِيعَةُ تَعَاوَنَا عَلَىٰ دَفْعِ الدَّاءِ وَقَهْرِهِ، فَكَيْفَ يُنْكَرُ لِمَنْ قَوِيَتْ طَبِيعَتُهُ وَنَفْسُهُ، وَفَرِحَتْ بِقُرْبِهَا مِنْ بَارِئِهَا، وَأُنْسِهَا بِهِ، وَحُبِّهَا لَهُ، وَتَنَعُّمِهَا بِذِكْرِهِ، وَانْصِرَافِ قُوَاهَا كُلِّهَا إِلَيْهِ، وَجَمْعِهَا عَلَيْهِ، وَاسْتِعَانَتِهَا بِهِ، وَتَوَكُّلِهَا عَلَيْهِ، أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَهَا مِنْ أَكْبَرِ الْأَدْوِيَةِ، وَأَنْ تُوجِبَ لَهَا هَذِهِ الْقُوَّةُ دَفْعَ الْأَلَمِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ، وَأَغْلَظُهُمْ حِجَابًا، وَأَكْثَفُهُمْ نَفْسًا، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ اللهِ، وَعَنْ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.اهـ[(١)]

وَالتَّوْحِيدُ هُوَ مَلْجَأُ الطَّالِبِينَ، وَمَفْزَعُ الْهَارِبِينَ، وَنَجَاةُ الْمَكْرُوبِينَ، وَغِيَاثُ الْمَلْهُوفِينَ[(١)]، وَتَأَمَّلْ حَالَ النَّاسِ الْيَوْمَ مَعَ تَوْحِيدِ رَبِّهِمْ جَلَّ وَعَلَا؛ فَالْكَافِرُ لَجَأَ إِلَى الْأَدْوِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِمَنْ يَصْنَعُ لَهُ اللِّقَاحَ، وَلَمَّا يَئِسَ مِنْهُ، وَأَيْقَنَ الْهَلَاكَ، لَجَأَ إِلَىٰ مَنْ بِيَدِهِ الْخَلَاصُ وَالْفَكَاكُ، فَأَخْلَصَ لَهُ الدُّعَاءَ، وَسَأَلَهُ رَفْعَ الْوَبَاءِ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ

---

(١) زَادُ الْمَعَادِ ٤/١٢.

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ❁ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يُونُس: ٢٢، ٢٣].

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ الْمُوَحِّدُ فَقَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِاللهِ ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ؛ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَيَفْزَعُ إِلَيْهِ فِي تَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ، وَرَفْعِ الْبَلَاءِ؛ مُوقِنٌ أَنَّهُ لَا كَاشِفَ لِلضُّرِّ إِلَّا هُوَ، وَلَا مُنْجِيَ مِنَ الْهَلَاكِ إِلَّا هُوَ، وَلَا مُغِيث بِالشِّفَاءِ وَالدَّوَاءِ إِلَّا هُوَ؛ فَالتَّوْحِيدُ مَفْزَعُهُ وَمَلْجَؤُهُ وَحِصْنُهُ وَغِيَاثُهُ.

وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ حَالُ بَعْضِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ وَهُمْ جَهَلَةٌ بِأُصُولِهِ وَمَبَانِيهِ، تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَانِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ يَظُنُّ أَنَّ اللُّجُوءَ إِلَى بَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ فِي قُبُورِهِمْ يَكْشِفُ الضُّرَّ، وَيَرْفَعُ الْبَلَاءَ، فَعَجِيبٌ أَمْرُ هَؤُلَاءِ؛ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا.

فَالْمُشْرِكُونَ الْأَوَائِلُ شِرْكُهُمْ أَهْوَنُ مِنْ شِرْكِ بَعْضِ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَنِ؛ إِذْ أُولَئِكَ يُشْرِكُونَ فِي الشِّدَّةِ وَيُخْلِصُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَهَؤُلَاءِ يُشْرِكُونَ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَنِ الْمُشْرِكِينَ الْأَوَّلِينَ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [

(١) يُنْظَرْ: إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ مِنْ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ ٢/١٣٥.

اَلْعَنْكَبُوتُ: ٦٥]، أَلَمْ يَلْجَأْ أَبُو جَهْلٍ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَى إِلَى دُعَاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَقْطَعَنَا الرَّحِمَ، وَآتَانَا بِمَا لَا يُعْرَفُ فَأَحْنِهِ الْغَدَاةَ»[١].

فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فِي هَذِهِ الشِّدَّةِ، وَهَذَا الْبَلَاءِ؛ اَلْمُسْلِمُونَ، وَالْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، وَغَيْرُهُمْ، لَجَأُوا إِلَى اللهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، الْقَهَّارِ الْجَبَّارِ، وَأَيْقَنُوا أَنَّ الْأَمْرَ بِيَدِ اللهِ جَلَّجَلَالُهُ، وَأَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ يَرْفَعُ الْبَلَاءَ، وَيَكْشِفُ الضَّرَّاءَ، ثُمَّ تَجِدُ شِرْذِمَةً مِنَ النَّاسِ خَفَّتْ عُقُولُهُمْ، وَطَاشَتْ أَحْلَامُهُمْ، قَدِ اجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ، وَفَسَدَتْ فِطَرُهُمْ، يَظُنُّونَ أَنَّ اللُّجُوءَ إِلَى الْأَضْرِحَةِ، وَإِحْيَاءَ الْوَعْدَةِ، وَإِقَامَةَ الزِّيَارَاتِ الشِّرْكِيَّةِ، تُنْجِيهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَتَكْشِفُ عَنْهُمُ السُّوءَ وَالضُّرَّ، فَمَا أَشْبَهَ حَالَهُمْ بِحَالِ بَعْضِ الْجُهَّالِ زَمَنَ غَزْوِ التَّتَرِ لِبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ حِينَ قَالَ[٢]:

يَا خَائِفِينَ مِنَ التَّتَرْ ... لُوذُوا بِقَبْرِ أَبِي عُمَرْ
عُوذُوا بِقَبْرِ أَبِي عُمَرْ ... يُنْجِيكُمُ مِنَ الضَّرَرْ

كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا، فَوَاللهِ إِنَّ هَذَا لَأَعْظَمُ الْبَلَاءِ، وَهُوَ أَشَدُّ وَأَخْطَرُ مِمَّا حَلَّ بِالنَّاسِ مِنَ الْوَبَاءِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً

---

(١) أَخْرَجَهُ: أَحْمَدُ، ح: ٢٣٦٦١.

(٢) الرَّدُّ عَلَى الْبَكْرِيِّ لِابْنِ تَيْمِيَّةَ ٢/٧٣٢.

لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٦٣، ٦٤].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ آلَ الْأَمْرُ بِكَثِيرٍ مِنْ جُهَّالِهِمْ إِلَى أَنْ صَارُوا يَدْعُونَ الْمَوْتَى وَيَسْتَغِيثُونَ بِهِمْ كَمَا تَسْتَغِيثُ النَّصَارَى بِالْمَسِيحِ وَأُمِّهِ فَيَطْلُبُونَ مِنَ الْأَمْوَاتِ تَفْرِيجَ الْكُرُبَاتِ وَتَيْسِيرَ الطَّلَبَاتِ وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَرَفْعَ الْمَصَائِبِ وَالْبَلَاءِ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.اهـ(١)

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: التَّوْحِيدُ مَفْزَعُ أَعْدَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ؛ فَأَمَّا أَعْدَاؤُهُ فَيُنْجِيهِمْ مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا وَشَدَائِدِهَا، ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ٦٥].

وَأَمَّا أَوْلِيَاؤُهُ؛ فَيُنْجِيهِمْ بِهِ مِنْ كُرُبَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَشَدَائِدَهَا؛ وَلِذَلِكَ فَزِعَ إِلَيْهِ يُونُسُ فَنَجَّاهُ اللهُ مِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَفَزِعَ إِلَيْهِ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ فَنُجُّوا بِهِ مِمَّا عُذِّبَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي الدُّنْيَا وَمَا أُعِدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَلَمَّا فَزِعَ إِلَيْهِ فِرْعَوْنُ عِنْدَ مُعَايَنَةِ الْهَلَاكِ وَإِدْرَاكِ الْغَرَقِ لَهُ لَمْ يَنْفَعهُ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ لَا يُقْبَلُ، هَذِهِ سُنَّةُ اللهِ فِي عِبَادِهِ، **فَمَا دُفِعَتْ شَدَائِدُ الدُّنْيَا بِمِثْلِ التَّوْحِيدِ**؛ وَلِذَلِكَ كَانَ دُعَاءُ الْكَرْبِ بِالتَّوْحِيدِ وَدَعْوَةُ ذِي النُّونِ الَّتِي مَا دَعَا

(١) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى ٤/٥١٩.

بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ كَرْبَهُ بِالتَّوْحِيدِ؛ فَلَا يُلْقِي فِي الْكُرَبِ الْعِظَامِ إِلَّا الشِّرْكُ، وَلَا يُنْجِي مِنْهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ فَهُوَ مَفْزَعُ الْخَلِيقَةِ وَمَلْجَؤُهَا وَحِصْنُهَا وَغِيَاثُهَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.اهـ[١]

******

(١) الْفَوَائِدُ ص ٥٣.

الْمَعْلَمُ الْخَامِسُ: الْفَزَعُ إِلَى الصَّلَاةِ فَرْضًا وَنَفْلًا.

قَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى»[١].

حَزَبَهُ أَمْرٌ؛ أَيْ: اشْتَدَّ عَلَيْهِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ: «إِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا، فَافْزَعُوا إِلَى الصَّلاَةِ»[٢].

وَقَالَ ثَابِتٌ البُنَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ أَمْرٌ فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ»[٣].

وَقَالَ عَلْقَمَةُ بنُ قَيْسٍ النَّخعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا فَزِعْتُمْ مِنْ أُفُقٍ مِنْ آفَاقِ السَّمَاءِ فَافْزَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ»[٤].

قَالَ الْحَافِظُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَوْلُهُ ﷺ «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَافْزَعُوا لِلصَّلَاةِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَصَلُّوا حَتَّى يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكُمْ»، مَعْنَاهُ: بَادِرُوا بِالصَّلَاةِ وَأَسْرِعُوا إِلَيْهَا حَتَّى يَزُولَ عَنْكُمْ هَذَا الْعَارِضُ الَّذِي يُخَافُ كَوْنُهُ مُقَدِّمَةَ عَذَابٍ.اهـ[٥]

---

(١) أَخْرَجَهُ: أَبُو دَاوُدَ، ح: ١٣١٩. وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.
(٢) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ١٠٤٧.
(٣) أَخْرَجَهُ: ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ، ح: ١٣٥٩٣.
(٤) أَخْرَجَهُ: ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمُصَنَّفِ، ح: ٨٣١٨..
(٥) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ٦/٢٠٢، ٢٠٣.

فَالْفَزَعُ إِلَى الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ، وَالْفَزَعُ إِلَى النَّوَافِلِ؛ وَلَا سِيَمَا قِيَامَ اللَّيْلِ زَمَنَ الْفِتَنِ وَالْمِحَنِ، وَوَقْتَ حُلُولِ الْمَصَائِبِ، وَنُزُولِ الْآيَاتِ الرَّبَانِيَّةِ هُوَ هَدْيُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَمَلَاذُ الْخَائِفِينَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ أَتَاكَ الرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِب ﴾ [الطَّلَاقِ: ٢، ٣].اهـ(١)

وَلَا شَكَّ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَنْتَظِرُهُ الْمُسْلِمُونَ وَتَنْتَظِرُهُ الْبَشَرِيَّةُ مِنَ الْأَرْزَاقِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ دَوَاءُ هَذَا الْوَبَاءِ، وَالنَّاسُ كُلُّهَا مُتَلَهِّفَةٌ وَمُتَشَوِّقَةٌ إِلَى أَنْ يُنْزِلَ اللهُ عَلَيْهِمْ رِزْقَ الدَّوَاءِ لِهَذَا الْفَيْرُوس، وَقَدْ دَلَّنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَقْرَبِ طَرِيقٍ لِاسْتِنْزَالِ الْأَرْزَاقِ، وَاسْتِمْطَارِ الرَّحَمَاتِ؛ فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢].

---

(١) تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ٥/٣٢٧.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ ﵁: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ بِأَهْلِهِ شِدَّةٌ أَوْ قَالَ: ضِيقٌ أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ، وَتَلَا: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] الْآيَةُ»[١].

******

(١) أَخْرَجَهُ: الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، ح: ٢٩١١. وَقَالَ السُّيُوطِيُّ: بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

الْمَعْلَمُ السَّادِسُ: تِلاوَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلُزُومُ الذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ، وَالْاِسْتِغْفارِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ﷺ.

وَمِنْ مَعَالِمِ الْهُدَى زَمَنَ انْتِشَارِ الْوَبَاءِ:

✓ تِلاوَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَسَمَاعُهُ:

فَاللهُ عَزَّوَجَلَّ خَالِقُ الدَّاءِ وَمُنَزِّلُ الدَّوَاءِ لَمْ يُنْزِلْ عَلَى عِبَادِهِ دَوَاءً أَعْظَمَ، وَأَنْفَعَ، وَأَسْرَعَ فِي قَلْعِ الدَّاءِ، وَأَقْوَى عَلَى تَحْقِيقِ الشِّفَاءِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا ﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٨٢].

وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَالْقُرْآنُ هُوَ الشِّفَاءُ التَّامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأَدْوَاءِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، وَأَدْوَاءِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا كُلُّ أَحَدٍ يُؤَهَّلُ وَلَا يُوفَّقُ لِلِاسْتِشْفَاءِ بِهِ، وَإِذَا أَحْسَنَ الْعَلِيلُ التَّدَاوِيَ بِهِ، وَوَضَعَهُ عَلَى دَائِهِ بِصِدْقٍ وَإِيمَانٍ، وَقَبُولٍ تَامٍّ، وَاعْتِقَادٍ جَازِمٍ، وَاسْتِيفَاءِ شُرُوطِهِ، لَمْ يُقَاوِمْهُ الدَّاءُ أَبَدًا.

وَكَيْفَ تُقَاوِمُ الأدواءُ كَلَامَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الذِي لَوْ نَزَلَ عَلَى الْجِبَالِ لَصَدَّعَهَا، أَوْ عَلَى الْأَرْضِ لَقَطَعَهَا، فَمَا مِنْ مَرَضٍ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ

وَالْأَبْدَانِ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ سَبِيلُ الدَّلَالَةِ عَلَى دَوَائِهِ وَسَبَبِهِ، وَالْحِمْيَةِ مِنْهُ لِمَنْ رَزَقَهُ اللهُ فَهْمًا فِي كِتَابِهِ.اهـ[١]

✓ الْإِكْثَارُ مِنَ الدُّعَاءِ، وَالْإِلْحَاحُ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ:

إِنَّ دُعَاءَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَسُؤَالَهُ رَفْعَ الْوَبَاءِ، وَحُلُولَ الشِّفَاءِ، وَالْإِلْحَاحَ عَلَيْهِ، وَإِدْمَانَ طَرْقِ الْبَابِ، مَعَ إِظْهَارِ الِافْتِقَارِ إِلَيْهِ، وَالِانْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَاسِيَمَا أَوْقَاتَ الِاسْتِجَابَةِ، لَهُوَ أَعْظَمُ أَسْبَابِ فَتْحِ أَبْوَابِ الرَّحَمَاتِ، وَدَفْعِ الْمَصَائِبِ وَالْبَلِيَّاتِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ، لاَ تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ»[٢].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ»[٣].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»[٤].

---

(١) زَادُ الْمَعَادِ ٤/٣٥٢.

(٢) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ١٠٥٩.

(٣) أَخْرَجَهُ: التِّرْمِذِيُّ، ح: ٣٥٤٨، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٤) أَخْرَجَهُ: التِّرْمِذِيُّ، ح: ٣٣٨٢، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ مَا سَأَلَ أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهُ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ»[١].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالدُّعَاءُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ، وَهُوَ عَدُوُّ الْبَلَاءِ، يَدْفَعُهُ، وَيُعَالِجُهُ، وَيَمْنَعُ نُزُولَهُ، وَيَرْفَعُهُ، أَوْ يُخَفِّفُهُ إِذَا نَزَلَ، وَهُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ.اهـ[٢]

وَمِنَ الْأَدْعِيَةِ الْمُنَاسِبَةِ لِهَذَا الْمَقَامِ:

- مَا صَحَّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»[٣].

وَفِي رِوَايَةٍ: كَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ حُلُولِ الْبَلَاءِ، وَمِنْ دَرْكِ الشَّقَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»[٤].

- وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ»[٥].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) أَخْرَجَهُ: التِّرْمِذِيُّ، ح: ٣٣٨١، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ

(٢) اَلْجَوَابُ الْكَافِي لِابْنِ الْقَيِّمِ ص ١٠.

(٣) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ٦٣٤٧.

(٤) أَخْرَجَهُ: الطَّبَرَانِيُّ فِي الدُّعَاءِ، ح: ١٣٣٥. بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.

(٥) أَخْرَجَهُ: أَبُو دَاوُدَ، ١٥٥٤، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

فَالدُّعَاءُ سَبَبٌ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ فَإِذَا كَانَ أَقْوَى مِنْهُ دفَعهُ، وَإِنْ كَانَ سَبَبُ الْبَلَاءِ أَقْوَى لَمْ يَدْفَعْهُ لَكِنْ يُخَفِّفُهُ وَيُضْعِفُهُ وَلِهَذَا أُمِرَ عِنْدَ الْكُسُوفِ وَالْآيَاتِ بِالصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِتْقِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.اهـ(١)

✓ لُزُومُ ذِكْرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا آنَاءَ اللَّيْلَ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ:

فَالْأَذْكَارُ الْمَشْرُوعَةُ مِنْ فَوَائِدِهَا أَنَّهَا تَجْلِبُ الْمَنَافِعَ، وَتَدْفَعُ الْمَضَارَّ، وَتَرْفَعُ النِّقَمَ، وَتَكْشِفُ الْكُرُبَاتِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يُسَهِّلُ الصَّعْبَ، وَيُيَسِّرُ الْعَسِيرَ وَيُخَفِّفُ الْمَشَاقَّ، فَمَا ذُكِرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى صَعْبٍ إِلَّا هَانَ، وَلَا عَلَى عَسِيرٍ إِلَّا تَيَسَّرَ، وَلَا مَشَقَّةٍ إِلَّا خَفَّتْ، وَلَا شِدَّةٍ إِلَّا زَالَتْ، وَلَا كُرْبَةٍ إِلَّا انْفَرَجَتْ، فَذِكْرُ اللهِ تَعَالَى هُوَ الْفَرَجُ بَعْدَ الشِّدَّةِ، وَالْيُسْرُ بَعْدَ الْعُسْرِ، وَالْفَرَجُ بَعْدَ الْغَمِّ وَالْهَمِّ.اهـ(٢)

بَلْ إِنَّ الْغَفْلَةَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَسْبَابِ الْعُقُوبَاتِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»(٣).

---

(١) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى ١٩٦/٨.

(٢) الْوَابِلُ الصَّيِّبُ ص ٧٦، ٧٧.

(٣) أَخْرَجَهُ: التِّرْمِذِيُّ، ح: ٣٣٨٠، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

قَالَ الْحَسَنِ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِغُرَابٍ مُوثَقٍ، فَقَالَ: يَا غُرَيْبَةُ، ضَيَّعْتِ التَّسْبِيحَ فَوَقَعْتِ فِي الشَّرَكِ، إِنْ خَلَّيْتُ عَنْكِ تُسَبِّحِينَ اللَّهَ؟ قَالَ: فَخَلَّى عَنْهَا»[(١)].

وَجَلَدَ عُمَرُ رَجُلًا يَوْمًا، وَعِنْدَهُ كَعْبُ الأَحْبَارُ، فَقَالَ الرَّجُلُ حِينَ وَقَعَ بِهِ السَّوْطُ: سُبْحَانَ اللهِ، فَقَالَ عُمَرُ لِلْجَلَّادِ: «دَعْهُ»، فَضَحِكَ كَعْبٌ، فَقَالَ لَهُ: «وَمَا يُضْحِكُكَ؟»، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ إِنَّ سُبْحَانَ اللهِ تَخْفِيفٌ مِنَ الْعَذَابِ»[(٢)].

وَمِنْ أَفْضَلِ الذِّكْرِ تَهْلِيلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَسْبِيحُهُ، وَتَحْمِيدُهُ، وَتَكْبِيرُهُ، وَالْحَوْقَلَةُ.

وَمِمَّا يُنَاسِبُ الْمَقَامَ مِنَ الْأَذْكَارِ:

مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلا اللهُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، لَا إِلَهَ إِلا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»[(٣)].

---

(١) أَخْرَجَهُ: ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْعُقُوبَاتِ، ح: ٣٥٧

(٢) أَخْرَجَهُ: أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ ٣٨٩/٥.

(٣) أَخْرَجَهُ: مُسْلِمٌ، ح: ٢٧٣٠..

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ – أَوْ فِي الْكَرْبِ –؟، اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(١).

وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ – ٨٨].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»(٢).

قَالَ مَكْحُولٌ الشَّامِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ قَالَ "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا مَنْجَا مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ" رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الضَّرَّاءِ أَدْنَاهُ الْفَقْرُ»(٣).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يَذْكُرُ أَثَرًا فِي هَذَا الْبَابِ وَيَقُولُ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا أُمِرُوا بِحَمْلِ الْعَرْشِ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا كَيْفَ نَحْمِلُ

---

(١) أَخْرَجَهُ: أَبُودَاوُدَ، ح: ١٥٢٥، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٢) أَخْرَجَهُ: التِّرْمِذِيُّ، ح: ٣٥٠٥، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٣) أَخْرَجَهُ: ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمُصَنَّفِ، ح: ٢٩٨٢٩.

عَرْشَكَ وَعَلَيْهِ عَظَمَتُكَ وَجَلَالُكَ؟، فَقَالَ: قُولُوا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَلَمَّا قَالُوا حَمَلُوهُ.

حَتَّىٰ رَأَيْتُ ابْنَ أَبِي الدُّنْيَا قَدْ ذَكَرَ هَذَا الْأَثَرَ بِعَيْنِهِ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَشْيَخَتُنَا أَنَّهُ بَلَغَهُمْ: أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ حِينَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، قَالُوا: رَبَّنَا لِمَ خَلَقْتَنَا؟، قَالَ: خَلَقْتُكُمْ لِحَمْلِ عَرْشِي. قَالُوا: رَبَّنَا وَمَنْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ حَمْلِ عَرْشِكَ، وَعَلَيْهِ عَظَمَتُكَ، وَجَلَالُكَ، وَوَقَارُكَ؟، قَالَ: لِذَلِكَ خَلَقْتُكُمْ. فَأَعَادُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ مِرَاراً؛ فَقَالَ لَهُمْ: قُولُوا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَحَمَلُوهُ.

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي مُعَالَجَةِ الْأَشْغَالِ الصَّعْبَةِ، وَتَحَمّلِ الْمَشَّاقِ، وَالدُّخُولِ عَلَىٰ الْمُلُوكِ، وَمَنْ يُخَافُ، وَرُكُوبِ الْأَهْوَالِ.اهـ[1]

وَلْيُحَافِظِ الْمُسْلِمُ عَلَىٰ أَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، وَأَذْكَارِ الْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْتِ، وَالذَّهَابِ إِلَىٰ مَكَانٍ مَا، وَنَحْوِهَا؛ فَإِنَّهَا الْحِصْنُ الْحَصِينُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَعَينٍ، وَمِنْ ذَلِكَ:

مَا صَحَّ عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ

(١) الْوَابِلُ الصَّيِّبُ لِابْنِ الْقَيِّمِ ص ٧٧.

اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ».

وَكَانَ أَبَانُ، قَدْ أَصَابَهُ طَرَفُ فَالِجٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: «مَا تَنْظُرُ؟ أَمَا إِنَّ الحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيُمْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ قَدَرَهُ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ»(٢).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ»(٣).

---

(١) أَخْرَجَهُ: التِّرْمِذِيُّ، ح: ٣٣٨٨؛ وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ».

(٢) أَخْرَجَهُ: مُسْلِمٌ، ح: ٢٧٠٩.

(٣) أَخْرَجَهُ: أَبُو دَاوُدَ، ح: ٥٠٩٥. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ»(١).

وَمِنَ الشَّرِّ الذِي خَلَقَ اللهُ ﷿: هَذَا الْوَبَاءُ وَالطَّاعُونُ؛ فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ مَلَاذَ الْعَبْدِ وَفِرَارَهُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَسُوءٍ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، وَحِصْنَهُ الْحَصِينَ وَرُكْنَهُ الرَّكِينَ هُوَ ذِكْرُ اللهِ ﷿.

وَلْيَعْلَمِ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ فَوَائِدِ الذِّكْرِ وَالْمحَافَظَةِ عَلَيْهِ أَنَّهُ يُقَوِّي الْقَلْبَ وَيُقَوِّي الْبَدَنَ.

فَأَمَّا تَقْوِيَةُ الْقَلْبِ فَهَذَا أَمْرٌ ظَاهِرٌ، فَقَدْ قَالَ اللهُ ﷿: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ ﵀: الذِّكْرُ لِلْقَلْبِ مِثْلَ الْمَاءِ لِلسَّمَكِ فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ السَّمَكِ إِذَا فَارَقَ الْمَاءَ ؟.اهـ(١)

وَأَمَّا تَقْوِيَةُ الْبَدَنِ؛ فَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ عَلِيٍّ ﵁، أَنَّ فَاطِمَةَ ﵂ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ، فَلَمْ تُصَادِفْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ، قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا» فَجَاءَ فَقَعَدَ

---

(١) أَخْرَجَهُ: مُسْلِمٌ، ح: ٢٧٠٨.

بَيْنِي وَبَيْنَهَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا - أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا - فَسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»[٢].

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَلَغَنَا أَنَّهُ مَنْ حَافَظَ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لَمْ يَأْخُذْهُ إِعْيَاءٌ فِيمَا يُعَانِيهِ مِنْ شُغْلٍ وَمِنْ غَيْرِهِ.اهـ[٣]

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

اَلذِّكْرُ يُعْطِي الذَّاكِرَ قُوَّةً، حَتَّى إِنَّهُ لَيَفْعَلُ مَعَ الذِّكْرِ مَا لَمْ يَظُنَّ فِعْلَهُ بِدُونِهِ، وَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ قُوَّةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ فِي سَنَنِهِ، وَكَلَامِهِ، وَإِقْدَامِهِ، وَكِتَابِهِ أَمْرًا عَجِيبًا، فَكَانَ يَكْتُبُ فِي الْيَوْمِ مِنَ التَّصْنِيفِ مَا يَكْتُبُهُ النَّاسِخُ فِي جُمُعَةٍ وَأَكْثَرَ، وَقَدْ شَاهَدَ الْعَسْكَرُ مِنْ قُوَّتِهِ فِي الْحَرْبِ أَمْرًا عَظِيمًا.اهـ[٤]

---

(١) اَلْوَابِلُ الصَّيِّبُ لِابْنِ الْقَيِّمِ ص ٦٣.

(٢) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ٥٣٦١؛ وَمُسْلِمٌ، ح: ٢٧٢٧.

(٣) اَلْوَابِلُ الصَّيِّبُ لِابْنِ الْقَيِّمِ ص ٩٧.

(٤) اَلْوَابِلُ الصَّيِّبُ لِابْنِ الْقَيِّمِ ص ٧٧.

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ مَتَى قَوِيَ الْبَدَنُ وَقَوِيَتْ مَنَاعَتُهُ؛ كَانَ أَقْدَرَ عَلَى دَفْعِ الْوَبَاءِ وَالْبَلَاءِ وَمُقَاوَمَةِ الْأَمْرَاضِ وَتَحَمُّلِهَا.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

مَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتُدْفِعَتْ نِقْمَةٌ بمثل ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، فَالذِّكْرُ جَلَّابٌ لِلنِّعَمِ، دَافِعٌ لِلنِّقَمِ. اهـ(١)

✓ **الْإِكْثَارُ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ:**

فَمِنْ أَعْظَمِ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يُقَوِّي الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ، وَيُفَرِّجُ الْهُمُومَ، وَيَكْشِفُ الْكُرُوبَ، وَيَجْلِبُ الْأَرْزَاقَ، وَيَمْنَعُ حُلُولَ الْعَذَابِ وَنُزُولَ الْعِقَابِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْعَبْدُ آمِنٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، مَا اسْتَغْفَرَ اللَّهَ»(٢).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَمَانَيْنِ لَا يَزَالُونَ مَعْصُومِينَ مُجَارِينَ مِنْ قَوَارِعِ الْعَذَابِ مَا دَامَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَأَمَانٌ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَأَمَانٌ بَقِيَ فِيكُمْ قَوْلُهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»(٣)

---

(١) الوابل الصيب لابن القيم ص ٧٣.

(٢) أَخْرَجَهُ: أَحْمَدُ، ح: ٢٣٩٥٣.

(٣) أَخْرَجَهُ: ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ، ح: ٩٠٢٥.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ مُسْتَغْفِرًا؛ لِأَنَّ الِاسْتِغْفَارَ يَمْحُو الذَّنْبَ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْعَذَابِ فَيَنْدَفِعُ الْعَذَابُ.اهـ[١]

وَالْعَذَابُ الْمَدْفُوعُ يَعُمُّ الْعَذَابَ السَّمَاوِيَّ، وَيَعُمُّ مَا يَكُونُ مِنَ الْعِبَادِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَمِيعَ قَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ عَذَابًا[٢].

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ الَّذِي فِيهِ تَكْفِيرُ الذُّنُوبِ السَّالِفَةِ، وَبِالتَّوْبَةِ عَمَّا يَسْتَقْبِلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ السَّابِقَةِ وَمَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَحَفِظَ عَلَيْهِ شَأْنَهُ وَقُوَّتَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: ١١]، وَكَمَا جَاءَ وَفِي الْحَدِيثِ: "مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَم فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ"[٣].اهـ[٤]

---

(١) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى ٨/١٦٣.

(٢) يُنْظَرُ: مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى ١٥/٤١، ٤٢.

(٣) أَخْرَجَهُ: أَبُو دَاوُدَ، ح: ١٥١٨، وَضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٤) تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ٤/٣٢٩.

✓الْإِكْثَارُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ﷺ:

الْإِكْثَارُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ مِنْ أَسْبَابِ كِفَايَةِ الهُمُومِ وَذَهَابِهَا، وَتَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ وَكَشْفِهَا ، وَانْشِراحِ الصُّدُورِ.

فَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ؛ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ».

قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ؛ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ»، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟، قَالَ: «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»[١].

وَفِي رِوَايَةٍ: «**إِذَنْ يَكْفِيكَ اللَّهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ**»[٢].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

من مَوَاطِنِ الصَّلَاة عَلَيْهِ ﷺ عِنْد الْهَمِّ والشَّدائدِ وَطلبِ الْمَغْفِرَة.اهـ[٣]

---

(١) أَخْرَجَهُ: التِّرْمِذِيُّ، ح: ٢٤٥٧؛ وَقَالَ: « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ »، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

(٢) أَخْرَجَهُ: أَحْمَدُ، ح: ٢١٢٤٢.

(٣) جَلاَءُ الْأَفْهَامِ فِي فَضْلِ الصَّلاَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنَامِ ص ٤٠٨.

وَقَالَ السَّخَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فِي بَيَانِ أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ:

وَعِنْدَ الْهَمِّ، وَالْكَرْبِ، وَالشَّدَائِدِ، وَالْفَقْرِ، وَالطَّاعُونِ.اهـ[١]

وَاحْتَجَّ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ تَرْفَعُ الطَّاعُونَ بِأُمُورٍ[٢]:

- بِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ».

- وَبِكَوْنِ الصَّلَاةِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةً، وَأَنَّ الطَّاعُونَ - فَهُوَ وإِنْ كَانَ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ شَهَادَةٌ وَرَحْمَةٌ -؛ فَقَدْ كَانَ فِي الْأَصْلِ رِجْزٌ وَعَذَابٌ، وَالرَّحْمَةُ وَالْعَذَابُ ضِدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ.

- أَنَّ الْمَدِينَةَ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ إِنَّمَا كَانَ سَبَبُهُ بَرَكَتِهِ ﷺ فَكَانَتْ الصَّلَاةُ عَلَيه أَيْضًا سَبَبًا لِرَفْعِهِ.

******

(١) القَولُ البَدِيعُ فِي الصَّلاةِ عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ ص ١٧٥.

(٢) انْظُرْ: القَولُ البَدِيعُ فِي الصَّلاةِ عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ ص ٢٢١؛ وَفِي بَعْضِ مَا ذُكِر ضَعْفٌ كَمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ السَّخَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الْمَعْلَمُ السَّابِعُ: مَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ، وَصُنْعُ الْمَعْرُوفِ، وَبَذْلُ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ.

مَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ، وَصُنْعُ الْمَعْرُوفِ، وَبَذْلُ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ، وَالتَّكَافِلُ وَالتَّعَاوُنُ، فِي وَقْتِ الشَّدَائِدِ وَالْأَزَمَاتِ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»(١).

وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ، وَجَمِيلُ الشَّمَائِلِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي الْعَبْدَ مَصَارِعَ السُّوءِ، وَتَدْفَعُ عَنْهُ الْبَلَاءَ، وَتَرْفَعُ عَنْهُ الضُّرَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ»(٢).

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ؛ فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّى الصَّدَقَةَ»(٣).

قَالَ الْحَافِظُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

---

(١) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ٢٤٨٦؛ وَمُسْلِمٌ، ح: ٢٥٠٠.

(٢) أَخْرَجَهُ: الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، ح: ٨٠١٤. وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، ح: ٨٨٩.

(٣) أَخْرَجَهُ: الْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكَبِيرِ، ح: ٧٩٠٧.

قَالَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَعْنَىٰ كَلَامِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِنَّكَ لَا يُصِيبُكَ مَكْرُوهٌ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيكَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَرَمِ الشَّمَائِلِ وَذَكَرَتْ ضُرُوبًا مِنْ ذَلِكَ وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَخِصَالَ الْخَيْرِ سَبَبُ السَّلَامَةِ مِنْ مَصَارِعِ السُّوءِ.اهـ(١)

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِنَّ لِلصَّدَقَةِ تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي دَفْعِ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، وَلَوْ كَانَتْ مِنْ فَاجِرٍ، أَوْ مِنْ ظَالِمٍ، بَلْ مِنْ كَافِرٍ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَدْفَعُ بِهَا عَنْهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْبَلَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ مُقِرُّونَ بِهِ لِأَنَّهُمْ جَرَّبُوهُ.اهـ(٢)

وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَفِي الصَّدَقَةِ فَوَائِدُ وَمَنَافِعُ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللهُ؛ فَمِنْهَا: أَنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَتَدْفَعُ الْبَلَاءَ، حَتَّىٰ إِنَّهَا لَتَدْفَعُ عَنِ الظَّالِمِ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: «وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ عَنِ الرَّجُلِ الْمَظْلُومِ»(٣)، وَتُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَتَحْفَظُ الْمَالَ، وَتَجْلِبُ الرِّزْقَ، وَتُفْرِحُ الْقَلْبَ، وَتُوجِبُ الثِّقَةَ بِاللهِ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِهِ، كَمَا أَنَّ الْبُخْلَ سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ، وَتُرْغِمُ الشَّيْطَانَ، يَعْنِي الصَّدَقَةَ،

---

(١) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ، ٢/٢٠٢.

(٢) الْوَابِلُ الصَّيِّبُ ص٣١.

(٣) أَخْرَجَهُ: الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، ح: ٣٠٨١.

وَتُزَكِّي النَّفْسَ وَتُنَمِّيهَا، وَتُحَبِّبُ الْعَبْدَ إِلَى اللهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، وَتَسْتُرُ عَلَيْهِ كُلَّ عَيْبٍ ،كَمَا أَنَّ الْبُخْلَ يُغَطِّي عَلَيْهِ كُلَّ حَسَنَةٍ، وَتَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، وَتَسْتَجْلِبُ أَدْعِيَةَ النَّاسِ وَمَحَبَّتَهُمْ، وَتَدْفَعُ عَنْ صَاحِبِهَا عَذَابَ الْقَبْرِ، وَتَكُونُ عَلَيْهِ ظِلًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَشْفَعُ لَهُ عِنْدَ اللهِ، **وَتُهَوِّنُ عَلَيْهِ شَدَائِدَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**، وَتَدْعُوهُ إِلَى سَائِرِ أَعْمَالِ الْبِرِّ فَلَا تَسْتَعْصِي عَلَيْهِ وَفَوَائِدُهَا وَمَنَافِعُهَا أَضْعَافُ ذَلِكَ.اهـ(١)

******

(١) عُدَّةُ الصَّابِرِينَ ص ٢٥٤.

الْمَعْلَمُ الثَّامِنُ: التَّوْبَةُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، وَتَرْكُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي.

مَا حَلَّ بِالْبَشَرِيَّةِ مِنْ وَبَاءٍ عَظِيمٍ، وَدَاءٍ جَسِيمٍ، إِلَّا بِسَبَبِ مَعَاصِيهِمْ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِ رَبِّهِمْ؛ فَإِنَّ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبَ، سَلَّابَةٌ لِلنِّعَمِ جَلَّابَةٌ لِلنِّقَمِ، تُوَرِّثُ أَنْوَاعًا عَظِيمَةً مِنَ الْفَسَادِ، وتُحِلُّ أَنْوَاعًا مِنَ الشُّرُورِ وَالْفِتَنِ وَالْمَصَائِبِ فِي الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ.

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الرعد: ٤١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَبْتَلِيهِمْ بِنَقْصِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ، اخْتِبَارًا مِنْهُ، وَمُجَازَاةً عَلَى صَنِيعِهِمْ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أَيْ: عَنِ الْمَعَاصِي، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٦٨].اهـ(١)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: **لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا**، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ

(١) تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ٦/٣٢٠.

يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[(١)].

وَقَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا، ثُمَّ لَا يُغَيِّرُوا، إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ»[(٢)].

وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنهما: «إِنَّ الْهَلَكَةَ كُلَّ الْهَلَكَةِ أَنْ تَعْمَلَ السَّيِّئَاتِ فِي زَمَانِ الْبَلَاءِ»[(٣)].

وَلِذَا كَانَتِ التَّوْبَةُ مِنَ الْأَوْزَارِ، وَالْأَوْبَةُ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، وَتَرْكُ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ، مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ رَفْعِ الْبَلَاءِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ.

وَلَمَّا اسْتَسْقَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه بِالْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه؛ قَالَ الْعَبَّاسُ رضي الله عنه: «اللهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا يُكْشَفُ إِلَّا بِتَوْبَةٍ»[(٤)].

---

(١) أَخْرَجَهُ: ابنُ مَاجَه، ح: ٤٠١٩. وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

(٢) أَخْرَجَهُ: أَبُو دَاوُدَ، ح: ٤٣٣٨. وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

(٣) أَخْرَجَهُ: ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْعُقُوبَاتِ، ح: ٣٢٨.

(٤) أَخْرَجَهُ: الدِّينَوَرِيُّ فِي الْمُجَالَسَةِ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ، ح: ٧٢٧.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي عَبْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ دَارِهِ، وَكُنْتُ لَهُ نَاصِحًا، وَكَانَ مِنِّي مُسْتَمِعًا، فَقَالَ: " يَا إِبْرَاهِيمُ بَلَغَنِي أَنَّ مُوسَى قَالَ: " إِلَهِي، مَا الَّذِي يُخَلِّصُنِي مِنْ عِقَابِكَ، وَيُبَلِّغُنِي رِضْوَانَكَ وَيُنْجِينِي مِنْ سَخَطِكَ؟ قَالَ: الِاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ، وَالنَّدَمُ بِالْقَلْبِ، وَالتَّرْكُ بِالْجَوَارِحِ»[١].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ: أَنَّهَا تُزِيلُ النِّعَمَ، وَتُحِلُّ النِّقَمَ، فَمَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [سُورَةُ الشُّورَى: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [سُورَةُ الْأَنْفَالِ: ٥٣]، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُغَيِّرُ نِعَمَهُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى أَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُغَيِّرُ مَا بِنَفْسِهِ، فَيُغَيِّرُ طَاعَةَ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ، وَشُكْرَهُ بِكُفْرِهِ، وَأَسْبَابَ رِضَاهُ بِأَسْبَابِ سُخْطِهِ، فَإِذَا غَيَّرَ غَيَّرَ عَلَيْهِ، جَزَاءً وِفَاقًا، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ

(١) أَخْرَجَهُ: ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي التَّوْبَةِ، ح: ٥.

لِلْعَبِيدِ. فَإِنْ غَيَّرَ الْمَعْصِيَةَ بِالطَّاعَةِ، غَيَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ بِالْعَافِيَةِ، وَالذُّلَّ بِالْعِزِّ.اهـ[1]

قَالَ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]: «وَإِنَّ اللَّهَ يُخَوِّفُ النَّاسَ بِمَا شَاءَ مِنْ آيَةٍ لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ، أَوْ يَذَّكَّرُونَ، أَوْ يَرْجِعُونَ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْكُوفَةَ رَجَفَتْ عَلَى عَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ يَسْتَعْتِبُكُمْ فَاعْتِبُوهُ»[2].

وَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى اصْطَفَقَتِ السُّرُرُ، فَخَطَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّاسَ، فَقَالَ: «أَحْدَثْتُمْ، لَقَدْ عَجِلْتُمْ، لَئِنْ عَادَتْ لَأَخْرُجَنَّ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانَيْكُمْ»[3].

وَفِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ (٤٤٩هـ) وَقَعَ وَبَاءٌ عَظِيمٌ بِبَغْدَادَ وَالْأَهْوَازِ وَأَعْمَالِهَا وَأَذْرَبِيجَانَ وَبِوَاسِطٍ وَالنِّيلِ وَالْكُوفَةِ وَطَبَّقَ الْأَرْضَ بِحَيْثُ خَلَتْ أَكْثَرُ الدُّورِ وَلَمْ يَسْلَمْ إِلَّا الْعَدَدُ الْقَلِيلُ؛ فَتَابَ النَّاسُ، وَتَصَدَّقُوا بِأَكْثَرِ

---

(١) الْجَوَابُ الْكَافِي لِابْنِ الْقَيِّمِ ص٧٤.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، ٦٣٨/١٤.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمُصَنَّفِ، ح: ٨٣٣٥؛ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكَبِيرِ، ح: ٦٤٤٨. اصْطَفَقَتِ السُّرُرُ: اضْطَرَبَتْ وَاهْتَزَّتْ.

أَمْوَالِهِمْ، **وَأَرَاقُوا الْخُمُورَ وَكَسَرُوا الْمَعَازِفَ وَتَصَالَحُوا**، وَلَزِمُوا الْمَسَاجِدَ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ(١).

******

(١) يُنْظَرُ: الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ١٥/٧٤١ – ٧٤٣.

الْمَعْلَمُ التَّاسِعُ: مُجَانَبَةُ اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، وَالتَّنَزُّهُ عَنِ الضَّحِكِ وَالسُّخْرِيَّةِ.

فَمُقَارَفَةُ مِثْلِ هَذِهِ السَّفَاسِفِ، وَالتُّرَّهَاتِ، زَمَنَ الْمِحَنِ وَالْأَزَمَاتِ، وَحِينَ نُزُولِ الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ، دَلِيلٌ عَلَى قَسْوَةِ الْقُلُوبِ، وَمَرَضِ النُّفُوسِ، وَدَلِيلٌ عَلَى خِفَّةِ الْعَقْلِ، وَسَفَهٍ، وَطَيْشٍ، وَقِلَّةِ مُرُوءَةٍ.

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۞ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ۞ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٤٠ – ٤٥].

قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَسْوَةَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَتَضَعْضَعُوا لِعُقُوبَةِ اللَّهِ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، لَا تَعَرَّضُوا لِعُقُوبَةِ اللَّهِ بِالْقَسْوَةِ، فَإِنَّهُ عَابَ ذَلِكَ عَلَى قَوْمٍ قَبْلَكُمْ»(١).

(١) أَخْرَجَهُ: ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي التَّفْسِيرِ، ح: ٧٢٨١.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٩٧].

وَقَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الْمُومِنُونَ: ٧٦].

فَهَذَا الْوَبَاءُ مَا هُوَ إِلَّا آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ يُخَوِّفُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِهَا الْعِبَادَ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٥٩]، وَلَمَّا خَسَفَتِ الشَّمْسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ»[1].

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»[1].

وَقَدْ رُوِيَ: «أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَسَّ الْمَدِينَةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي عَامِ الرَّمَادَةِ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَضْحَكُ، وَلَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ فِي مَنَازِلِهِمْ عَلَى الْعَادَةِ، وَلَمْ يَجِدْ سَائِلًا يَسْأَلُ، فَسَأَلَ عَنْ سَبَبٍ ذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ السُّؤَّالَ

(١) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ١٠٤٨.

سَأَلُوا فَلَمْ يُعْطَوْا فَقَطَعُوا السُّؤَالَ، وَالنَّاسُ فِي هَمٍّ وَضِيقٍ، فَهُمْ لَا يَتَحَدَّثُونَ وَلَا يَضْحَكُونَ»(٢).

هَكَذَا كَانَ حَالُ السَّلَفِ ﭫ مِنَ الْخَوْفِ وَالْوَجَلِ عِنْدَ حُلُولِ الْآيَاتِ، وَالِاسْتِكَانَةِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَانْظُرْ إِلَى حَالِ أَكْثَرِ النَّاسِ الْيَوْمَ يُرْسِلُ اللهُ ﻷ عَلَيْهِمُ الْآيَاتِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ تَخْوِيفًا، وَهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ سَاهُونَ، وَيَضْحَكُونَ وَيَلْعَبُونَ، وَيَسْخَرُونَ وَيَسْتَهْزِؤُونَ، وَلِلْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ يَجْتَرِحُونَ وَيَقْتَرِفُونَ، وَفِي أَعْرَاسِهِمْ بِالْغِنَاءِ وَالتَّبَرُّجِ وَالِاخْتِلَاطِ وَالْمُسْكِرَاتِ يَسْهَرُونَ، وَعَلَيْهَا يَبِيتُونَ، فَمَا اسْتَكَانَتْ قُلُوبُهُمْ لِرَبِّهِمْ جلَّ وَعَلَا وَمَا يَتَضَرَّعُونَ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

******

(١) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ١٠٤٤.

(٢) اَلْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ١٠/٦٩. وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا الْأَثَرُ جَيِّدُ الْإِسْنَادِ، لَكِنَّ ذِكْرَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي عَامِ الرَّمَادَةِ مُشْكِلٌ؛ فَإِنَّ مِصْرَ لَمْ تَكُنْ فُتِحَتْ فِي سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَامُ الرَّمَادَةِ بَعْدَ سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ، أَوْ يَكُونَ ذِكْرُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي عَامِ الرَّمَادَةِ وَهْمًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.اهـ

الْمَعْلَمُ الْعَاشِرُ: بَثُّ رُوحِ التَّفَاؤُلِ، وَنَشْرُ الْأَمَلِ، وَالْكَلَامِ الطَّيِّبِ.

بَثُّ رُوحِ التَّفَاؤُلِ، وَنَشْرُ الْأَمَلِ، وَالْكَلَامِ الطَّيِّبِ، مَنْهَجُ الْأَنْبِيَاءِ فِي زَمَنِ الْأَزَمَاتِ، وَوَقْتِ الشَّدَائِدِ.

فَفِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ لَمَّا اشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ؛ نَافَقَ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَتَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ قَبِيحٍ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا فِيهِ النَّاسُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْكَرْبِ جَعَلَ يُبَشِّرُهُمْ وَيَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُفَرَّجَنَّ عَنْكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْبَلَاءِ، فَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ آمِنًا، وَأَنْ يَدْفَعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَفَاتِحَ الْكَعْبَةِ، وَلَيُهْلِكَنَّ اللهُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَلَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ»[1].

فَمِنْ مَعَالِمِ الْهُدَى الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا أُولِي النُّهَى وَالتُّقَى عِنْدَ الْفِتَنِ وَالشَّدَائِدِ: بَثُّ التَّفَاؤُلِ الذِي يُوَلِّدُ الْهِمَّةَ، وَيَبْعَثُ فِي الْقُلُوبِ عَزِيمَةً وَقُوَّةً، وَيُجَدِّدُ النَّشَاطَ فِي الْأَبْدَانِ، وَيُوَلِّدُ أَفْكَارًا إِيجَابِيَّةً، وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتْرُكَ أُسْلُوبَ التَّخْوِيفِ وَالتَّهْوِيلِ، وَنَشْرِ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ؛ لِأَنَّ الْيَأْسَ وَالْقُنُوطَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ؛ قَالَ اللهُ جَلَ وَعَلَا: ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يُوسُفَ: ٨٧]، وَيَقُولُ الْمَوْلَى عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦].

---

(١) أَخْرَجَهُ: الْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكَبِيرِ، ح: ١٧٩٢٠.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئًا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ؛ فَقَالَ: مَا الْكَبَائِرُ؟؛ فَقَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالْإِيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ»(١).

وَتَدَبَّرْ حَالَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَمَا كَانَ مُخْتَفِيًا فِي الْغَارِ مَعَ صَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَجْزَعُ أَنْ يَطَّلِع عَلَيْهِمْ أَحَدٌ، وَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُسَكِّنه ويثبِّته: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»(٢)، وَيَقُولُ له: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا.

وَمِثْلُهُ حَالُ كَلِيمِ اللهِ مُوسَى عليه السلام وَأَصْحَابِهِ حِينَمَا أَدْرَكَهُمْ فِرْعَونُ وَجُنْدُهُ، قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ زَمَنَ الشَّدَائِدِ؛ فَلَا يَجْعَلُ مَسَالِكَ الْيَأْسِ تَتَسَلَّلُ إِلَى نَفْسِهِ، أَوْ أَنْ تُعَشِّشَ فِي ثَنَايَا وَزَوَايَا قَلْبِهِ، فَلَا تَضْعُفُ قِوَاهُ وَلَا تَخُورُ عَزَائِمُهُ، بَلْ يَكُونُ مُتَفَائِلًا مُسْتَبْشِرًا خَيْرًا، يَتَوَقَّعُ الْمَسَرَّاتِ فِي أَحْلَكِ الظُّرُوفِ، وَيَرْجُو السَّعَادَةَ فِي أَوْقَاتِ الْحُزْنِ، وَيَجِدُ الشِّفَاءَ عِنْدَ أَشَدِّ الْبَلَاءِ،

---

(١) أَخْرَجَهُ: الْبَزَّارُ فِي مُسْنَدِهِ، كَمَا فِي الزَوَائِدِ، ح: ١٠٦، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ، ح: ٢٠٥١.

(٢) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ٤٦٦٣، وَمُسْلِمٌ، ح: ٢٣٨١.

وَيُبْصِرُ الْفَرَجَ مِنَ اللهِ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْكُرْبَةِ، فَيُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ تَعَالَى، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللهَ ﷻ بِيَدِهِ مَقَادِيرُ الْأُمُورِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ سَيَكْشِفُ الضُّرَّ الذِي نَزَلَ بِالْأُمَّةِ، وَيَجْعَلُ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَبَعْدَ الضِّيقِ فَرَجًا، وَبَعْدَ الْحُزْنِ سُرُورًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النَّحْلُ: ١٢٧، ١٢٨].

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «لَوْ أَنَّ الْعُسْرَ دَخَلَ فِي جُحْرٍ لَجَاءَ الْيُسْرُ حَتَّى يَدْخُلَ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٦]»[1].

******

(١) أَخْرَجَهُ: ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ، ح: ٣٠.

الْمَعْلَمُ الْحَادِي عَشَرَ: تَرْكُ الشَّائِعَاتِ، وَالْحَذَرُ مِنْ إِفْشَاءِ الْأَخْبَارِ.

مِنْ مَعَالِمِ الهُدَىٰ زَمَنَ انْتِشَارِ الْوَبَاءِ: لُزُومُ الصَّمْتِ وَتَرْكُ إِشَاعَةِ الْأَخْبَارِ، وَمِنَ الْمَزَالِقِ الْخَطِرَةِ مَا يَقَعُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَ الْأَزَمَاتِ وَالشَّدَائِدِ مِنَ التَّسَارُعِ فِي تَلَقُّفِ الْمَعْلُومَاتِ وَالْأَخْبَارِ، وَنَشْرِهَا وَإِفْشَائِهَا، بِغَضِ النَّظَرِ عَنْ مَصْدَرِهَا، وَلَا تَحَقُّقٍ مِنْ صِحَّتِهَا ودِقَّتِها، وَلَا فِي مَا يَنْتُجُ عَنْهَا مِنْ مَخَاطِرَ وَعَوَاقِبَ سَيِّئَةً عَلَى الْأَفْرَادِ أَوِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَمَا هِيَ أَغْرَاضُ مَنْ نَشَرَهَا وَأَهْدَافُهُمْ، فَمِثْلُ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ السَّلْبِيَّةِ تُحْدِثُ فِي الْمُجْتَمَعِ اضْطِرَابًا وَخَوْفًا وَرُعبًا، وَيَنْتُجُ عَنْهَا مَخَاطِرُ جَسِيمَةٌ عَلَى الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ، وَعَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا، وَعَلَى الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ.

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

قَالَ الضَّحَّاكُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَذَاعُوا بِهِ يَقُولُ: فَشَوْهُ وَسَعَوْا بِهِ، وَهُمْ أَهْلُ النِّفَاقِ»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ: ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ، ح: ٥٦٨٤.

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: هَذَا تَأْدِيبٌ مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ عَنِ فِعْلِهِمْ هَذَا غَيْرِ اللَّائِقِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ وَالْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَمْنِ وَسُرُورِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ بِالْخَوفِ الذِي فِيهِ مُصِيبَةٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَثَبَّتُوا وَلَا يَسْتَعْجِلُوا بِإِشَاعَةِ ذَلِكَ الْخَبِرِ، بَلْ يَرُدُّونَهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمَرِ مِنْهُمْ، أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالنُّصْحِ وَالْعَقِلِ وَالرَّزَانَةِ، الذِينَ يَعْرِفُونَ الْأُمُورَ وَيَعْرِفُونَ الْمَصَالِحَ وَضَدَّهَا. فَإِنْ رَأَوْا فِي إِذَاعَتِهِ مَصْلَحَةً وَنَشَاطًا لِلْمُؤْمِنِينِ وَسُرُورًا لَهُمْ وَتَحَرُّزًا مِنْ أَعْدَائِهِمْ فَعَلُوا ذَلِكَ. وَإِنْ رَأَوْا أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ، أَوْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ وَلَكِنْ مَضَرَّتُهُ تَزِيدُ عَلَى مَصْلَحَتِهِ، لَمْ يُذِيعُوهُ.اهـ[١]

وَقَالَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قِيلَ وَقَالَ»[٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: أَيْ الَّذِي يُكْثِرُ مِنَ الْحَدِيثِ عَمَّا يَقُولُ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ تَثبُّتٍ، وَلَا تَدبُّرٍ، وَلَا تبَيُّنٍ.اهـ[٣]

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا»[٤].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[٥].

---

(١) تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَنَّانِ ص ١٩٠.

(٢) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ١٤٧٧؛ وَمُسْلِمٌ، ح: ٥٩٣.

(٣) تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ٢/٣٦٦.

(٤) أَخْرَجَهُ: أَبُو دَاوُدَ، ح: ٤٩٧٢.

(٥) أَخْرَجَهُ: مُسْلِمٌ فِي الْمُقَدِّمَةِ، ح: ٥.

وَقَدْ أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فِيمَا رَآهُ مِنْ أَحْوَالِ الْآخِرَةِ أَنَّهُ رَأَى: «الرَّجُلَ الذي يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ»[١].

وَهَذَا الذِي أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ يَقَعُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْيَومَ مِنْ خِلَالِ مَا يَتَدَاوَلُونَهُ وَيَنْشُرُونَهُ مِنْ أَخْبَارٍ وَأَحْكَامٍ، عَبْرَ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الاِجْتِمَاعِيِّ، إِذْ يَبْلُغُ مَا يُنشَرُ فِيهَا أَقَاصِي الْأَرْضَ، وَيَشِيعُ فِي أَكْثَرِ الْمَعْمُورَةِ، وَإِذَا مُحِّصَ الْخَبَرُ تَبَيَّنَ أَنَّهُ كَذِبٌ وَاخْتِلَاقٌ، وَمَحْضُ افْتِرَاءٍ.

وَانْظُرْ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ الْيَوْمَ وَصَنِيعِهِمْ مَعَ هَذَا الْوَبَاءِ الْخَطِيرِ؛ كَمْ أَشَاعُوا مِنْ أَخْبَارٍ كَاذِبَةٍ، وَأَذَاعُوا مِنْ أَنْبَاءٍ فَاسِدَةٍ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعِيَ وَيَتَفَطَّنَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ الْمُعْوَجَّةِ، وَلْيَنْأَ بِنَفْسِهِ عنْهَا، وَلْيَلْزَمْ بَيْتَهُ، وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

******

(١) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح:٧٠٤٧.

الْمَعْلَمُ الثَّانِي عَشَرَ: الْالْتِزَامُ بِتَعْلِيمَاتِ الْجِهَاتِ الرَّسْمِيَّةِ، وَفَتَاوَىٰ الْهَيْئَاتِ وَاللِّجَانِ الْعِلْمِيَّةِ.

قَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾. [النِّسَاءُ: ٨٣].

قَالَ السُّدِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «قَوْلُهُ: ﴿ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾؛ إِلَى أَمِيرِهِمْ حَتَّى يَتَكَلَّمَ هُوَ بِهِ»[١].

وَقَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللهُ: « قَوْلُهُ: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾: إِلَى عُلَمَائِهِمْ »[٢].

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ أَيْ: يَسْتَخْرِجُونَهُ بِفِكْرِهِمْ وَآرَائِهِمُ السَّدِيدَةِ وَعُلُومِهِمُ الرَّشِيدَةِ.

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ لِقَاعِدَةٍ أَدَبِيَّةٍ؛ وَهِيَ: أَنَّهُ إِذَا حَصَلَ بَحْثٌ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ يَنْبَغِي أَنْ يُوَلَّى مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِذَلِكَ وَيُجْعَلَ إِلَى أَهْلِهِ، وَلَا يُتَقَدَّمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ وَأَحْرَى لِلسَّلَامَةِ مِنَ الْخَطَأِ.اهـ[٣]

---

(١) أَخْرَجَهُ: ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ، ح: ٥٦٨٨.
(٢) أَخْرَجَهُ: ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ، ح: ٥٦٨٩.
(٣) تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَنَانِ ص ١٩٠.

فَالْعَاقِلُ مَنْ يُدرِك الْأُمُورَ بِعَقْلِهِ وَبَصِيرَتِهِ، يَلزَمُ الْهُدُوءَ وَالسَّكِينَةَ وَالِاعْتِدَالَ، وَأَمَّا الْجَاهِلُ وَالْعَجُولُ فَتَرَاهُ دَوْمًا مُنْدَفِعًا بِعَاطِفَتِهِ مُسْتَعْجِلًا فِي إِبْدَاءِ رَأْيِهِ، مُضْطَرِبًا عِنْدَ النَّوَازِلِ، مُعْجَبًا بِقِيلِهِ، مُنْتَقِصًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، لَا يَرَىٰ لَهُمْ حَقًّا وَلَا مَنْزِلَةً، زَاعِمًا أَنَّهُ الْمُتَكَلِّمُ فِي مَصَالِحِ الْأُمَّةِ، الْفَاهِمُ لِوَاقِعِهَا، وَأَنَّهُ الْأَحَقُّ بِقِيَادَةِ السَّفِينَةِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَأُمُورٌ مُشْبِهَاتٌ، فَعَلَيْكَ بِالتُّؤَدَةِ فَتَكُونَ تَابِعًا فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ رَأْسًا فِي الشَّرِّ»[(١)].

فَلْيَحْذَرِ الْمُسْلِمُ أَنْ يَتَعَدَّىٰ حُدُودَ الشَّرْعِ، أَوْ يَخُوضَ فِيمَا لَا قِبَلَ لَهُ مِنْ قَضَايَا الأمَّةِ، فَيَفْتَاتَ عَلَىٰ مَن وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَهُ، وَلَا سِيَمَا ذَوِي الرَّأْيِ وَالرِّيَادَةِ وَمَنْ هُمْ فِي مَقَامِ الرِّئَاسَاتِ وَالتَّوْجِيهِ، وَذَوِي الشَّأْنِ، وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ وَعِلْمٍ فَلَا يَتَعَجَّلْ فِي إِعْطَاءِ رَأْيٍ، أَوْ إِبْدَاءِ حُكْمٍ، أَوْ تَفْسِيرِ حَالٍ؛ بَلْ قَدْ لَا يَلْزَمُهُ ذَلِكَ كُلُّهُ، فَمَا كُلُّ رَأْيٍ يُجهَرُ بِهِ، وَلَا كُلُّ مَا يُعلَم يُقَالُ، وَلَا كُلُّ ما يَصْلُحُ لِلقَوْلِ يُقَالُ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ.

وَتَأَمَّلْ صَنِيعَ عُمَرَ الْفَارُوقِ الْمُحَدَّثِ الْمُلْهَمِ ﷺ حِينَمَا: «خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

(١) أَخْرَجَهُ: ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمُصَنَّفِ، ح: ٣٧١٨٨.

لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: **ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ**، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ **فَاخْتَلَفُوا**، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلاَ نَرَىٰ أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ نَرَىٰ أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الوَبَاءِ، فَقَالَ عُمَرُ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: **ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ** فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، **وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ**، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: **ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ**، فَدَعَوْتُهُمْ **فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلَانِ**، فَقَالُوا: نَرَىٰ أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَىٰ عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَىٰ ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَىٰ قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالْأُخْرَىٰ جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصِبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ – وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ – فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ

فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»، قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ، ثُمَّ انْصَرَفَ»[١].

******

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، ح: ٥٧٢٩.

الْمَعْلَمُ الثَّالِثَ عَشَرَ: عَدَمُ التَّعَرُّضِ لِلْوَبَاءِ، وَطَلَبُ الْمُعَافَاةِ، وَلُزُومُ الْحَجْرِ الْمَنْزِلِيِّ.

عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَطْلُبَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ، وَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْبَلَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيَصْبِرُ عَلَيْهِ أَمْ يَتَسَخَّطُ؟، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ» قَالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ»(١).

كَمَا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ تَمَنِّي لِقَاءَ الْعَدُوِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»(٢).

وَالْوَبَاءُ مِنَ الْبَلَاءِ، وَهُوَ عَدُوٌّ لِابْنِ آدَمَ؛ فَلَا يَجُوزُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهُ، بِتَرَدُّدِهِ عَلَى مَجَامِعِ النَّاسِ؛ فَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطَّاعُونُ رِجْزٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَعَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ»(٣).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) أَخْرَجَهُ: التِّرْمِذِيُّ، ح: ٢٢٥٤، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.
(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، ح: ٢٩٦٦؛ وَمُسْلِمٌ، ح: ١٧٤٢، وَاللَّفْظُ لَهُ.
(٣) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ٣٤٧٣، وَمُسْلِمٌ، ح: ٢٢١٨.

وَقَدْ أَحْكَمَتِ السُّنَّةُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا مَا قَطَعَ وُجُوهَ الِاخْتِلَافِ فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْدِمَ عَلَى مَوْضِعِ طَاعُونٍ لَمْ يَكُنْ سَاكِنًا فِيهِ وَلَا يَجُوزُ لَهُ الْفِرَارُ عَنْهُ إِذَا كَانَ قَدْ نَزَلَ فِي وَطَنِهِ وَمَوْضِعِ سُكْنَاهُ.اهـ(١)

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْأُمَّةِ فِي نَهْيِهِ عَنِ الدُّخُولِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ بِهَا، وَنَهْيِهِ عَنِ الْخُرُوجِ مِنْهَا بَعْدَ وُقُوعِهِ كَمَالَ التَّحَرُّزِ مِنْهُ، فَإِنَّ فِي الدُّخُولِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ بِهَا تَعَرُّضًا لِلْبَلَاءِ، وَمُوَافَاةً لَهُ فِي مَحَلِّ سُلْطَانِهِ، وَإِعَانَةَ لِلْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ، وَهَذَا مُخَالِفٌ لِلشَّرْعِ وَالْعَقْلِ، بَلْ تَجَنُّبُ الدُّخُولِ إِلَى أَرْضِهِ مِنْ بَابِ الْحِمْيَةِ الَّتِي أَرْشَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهَا، وَهِيَ حِمْيَةٌ عَنِ الْأَمْكِنَةِ، وَالْأَهْوِيَةِ الْمُؤْذِيَةِ.اهـ(٢)

وَفِي النَّهْيِ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الْأَمَاكِنِ الَّتِي بِهَا الْأَوْبِئَةُ وَالطَّوَاعِينُ، حِكَمٌ جَلِيلَةٌ مِنْهَا:

- ✓ تَجَنُّبُ الْأَسْبَابِ الْمُؤْذِيَةِ وَالْبُعْدُ مِنْهَا.
- ✓ الْأَخْذُ بِالْعَافِيَةِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ.
- ✓ لِكَيْلَا يَسْتَنْشِقَ الإِنْسَانُ الْهَوَاءَ الَّذِي قَدْ عَفِنَ وَفَسَدَ فَيَمْرَضَ.

---

(١) الِاسْتِذْكَارُ ٨/٢٥١. وَانْظُرْ أَيْضًا: التَّمْهِيدَ ٦/٢١٢.

(٢) زَادُ الْمَعَادِ ٤/٣٩.

✓لِكَيْلَا يُجَاوِرَ الإِنْسَانُ الْمَرْضَىٰ الَّذِينَ قَدْ مَرِضُوا بِذَلِكَ فَيَحْصُلُ لَهُ بِمُجَاوَرَتِهِمْ مِنْ جِنْسِ أَمْرَاضِهِمْ، وَقَدْ جَاءَ فِي الأَثَرِ: «إِنَّ مِنَ الْقَرَفِ التَّلَفَ»(١). وَالْقَرَفُ مُدَانَاةُ الْوَبَاءِ، وَمُدَانَاةُ الْمَرْضَىٰ.

✓حِمْيَةُ النُّفُوسِ عَنِ الطِّيَرَةِ وَالْعَدْوَىٰ؛ فَإِنَّهَا تَتَأَثَّرُ بِهِمَا، فَإِنَّ الطِّيَرَةَ عَلَىٰ مَنْ تَطَيَّرَ بِهَا، وَبِالْجُمْلَةِ فَفِي النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ الْأَمْرُ بِالْحَذَرِ وَالْحِمْيَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ التَّعَرُّضِ لِأَسْبَابِ التَّلَفِ(٢).

******

(١) أَخْرَجَهُ: أَبُو دَاوُدَ، ح: ٣٩٢٣، وَضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٢) زَادُ الْمَعَادِ لِابْنِ الْقَيِّمِ بِتَصَرُّفٍ، ٤/٤٠، ٤١.

الْمَعْلَمُ الرَّابِعَ عَشَرَ: مَا يَجِبُ فِعْلُهُ عَلَى مَنِ ابْتُلِيَ بِهَذَا الْوَبَاءِ.

فَمَنْ قَدَّرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْهِ هَذَا الْوَبَاءَ، وَأَصَابَهُ هَذَا الْفَيْرُوس؛ فَعَلَيهِ أَنْ يُراعِيَ جملةً مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ؛ تَجِبُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الحَالِ، أُلَخِّصُهَا فِي الْآتِي:

أَوَّلًا: الصَّبْرُ عَلَى قَضاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالرِّضا بِمَا قَدَّرَهُ.

فَيَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى قَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَأَنْ يَرْضَى بِحُكْمِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْهِ، وَيَحْتَسِبَ الْأَجْرَ عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ؛ وَيُوقِنَ أَنَّ النَّاسَ لَوِ اجْتَمَعُوا إِنْسَهُمْ وَجِنَّهُمْ عَلَى أَنْ يَدْفَعُوا عَنْهُ هَذَا الْبَلَاءَ مَا دَفَعُوهُ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ خَيْرٌ لَهُ، فَلَا يَتَسَخَّطَ وَلَا يَجْزَعَ؛ بَلْ يَحْمَدِ اللهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ: مُسْلِمٌ، ح: ٢٩٩٩.

ثَانِيًا: سُؤَالُ اللهِ تَعَالَى وَدُعَاؤُهُ.

بِالِاسْتِكَانَةِ إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّوَسُّلِ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى، وَالِانْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالِافْتِقَارِ إِلَيْهِ، وَالْإِلْحَاحِ عَلَيْهِ بِرَفْعِ هَذَا الْبَلَاءِ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ جَلَّ وَعَلَا يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ الْخَائِفِينَ الرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ الطَّامِعِينَ فِي عَفْوِهِ وَكَرَمِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٥٦].

وَقَالَ اللهُ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٥٧].

وَهُوَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، وَيَكْشِفُ عَنْهُ السُّوءَ وَيَرْفَعُ عَنْهُ بَلْوَاهُ؛ بَلْ جَعَلَ ذَلِكَ مِنْ دَلَائِلِ تَوْحِيدِهِ، فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النَّمْلُ: ٦٢]، وَقَالَ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٧، ١٨].

---

(١) أَخْرَجَهُ: التِّرْمِذِيُّ، ح: ٢٣٩٦، وَقَالَ: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ"،

وَتَأَمَّلْ أَخِي الْمُبْتَلَى تَضَرُّعَ نَبِيِّ اللهِ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَبِّهِ وَمَوْلَاهُ، وَتَوَسُّلَهُ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى لِرَفْعِ الضُّرِّ عَنْهُ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٨٣].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: جَمَعَ فِي هَذَا الدُّعَاءِ بَيْنَ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ، وَإِظْهَارِ الفَقْرِ والفَاقَةِ إلى ربِّه، وَوُجُودِ طَعْمِ المحَبَّةِ فِي التَّمَلُّقِ لَهُ سُبْحَانَه، والإِقْرَارِ لَهُ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ، وأنَّه أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، والتَّوَسُّلُ إِلَيْهِ بِصِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ، وَشِدَّةِ حَاجَتِهِ هُوَ وَفَقْرِهِ، وَمَتَى وَجَدَ الْمُبْتَلَى هَذَا كُشِفَتْ بَلْوَاهُ، وَقَدْ جُرِّبَ أَنَّهُ مَنْ قَالَهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ وَلَا سِيمَا مَعَ هَذِه الْمَعْرِفَةِ كَشَفَ اللهُ ضُرَّهُ.اهـ[١]

ثَالِثًا: حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَالْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ إِذَا أُصِيبَ بِهَذَا الْوَبَاءِ عَلَيهِ أَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يُرِدْ بِهِ شَرًّا، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ خَيْرًا، فَهَذَا الْوَبَاءُ إِنَّمَا هُوَ رَحْمَةٌ مِنْ رَحَمَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ، يَرْحَمُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، لِيَكْتُبَ لَهُمْ بِهِ أَجْرَ الشُّهَدَاءِ، وَيُعْلِيَهُمْ مَنَازِلَ الْأَتْقِيَاءِ الْأَصْفِيَاءِ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَنِي «أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً

وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(١) الْفَوائِدُ لابْنِ الْقَيِّمِ ص٢٠١.

لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ»(١).

فَيَا عَبْدَ اللهِ يَا مَنْ أُصِبْتَ بِهَذَا الْوَبَاءِ وَبِهَذَا الْفَيْرُوس، اِصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ، وَاحْتَسِبِ الْأَجْرَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْكَ مَنِيَّتُكَ وَأَنْتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَإِنَّكَ مِنَ الشُّهَدَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»(٢).

رَابِعًا: اِعْتِزَالُ النَّاسِ، وَاتِّخَاذُ التَّدَابِيرِ الْوِقَائِيَّةِ، وَلُزُومُ الْحَجْرِ الصِّحِّيِّ.

وَالْوَاجِبُ عَلَى مَنْ أَصَابَهُ هَذَا الْوَبَاءُ أَنْ يَعْتَزِلَ النَّاسَ أَوَّلًا، وَأَنْ يَتَّخِذَ التَّدَابِيرَ الْوِقَائِيَةَ التِي تَمْنَعُ انْتِقَالَ هَذَا الْوَباءِ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، وَلْيَبْدَأْ بِأَهْلِهِ، فَلَا يَقْرَبْ أَحَدًا مِنْهُمْ، لِقَولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»(٣).

وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»(٤).

---

(١) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ٣٤٧٤.
(٢) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ٢٨٣٠.
(٣) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ٥٧٧١؛ وَمُسْلِمٌ، ح: ٢٢٢١.
(٤) أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، ح: ٥٧٠٧.

وَكَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ»(١).

وعَنِ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِلْمُعَيْقِيبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وَكَانَ مَجْذُومًا): «اجْلِسْ مِنِّي قِيدَ رُمْحٍ»، قَالَ: «وَكَانَ بِهِ ذَاكَ الدَّاءُ، وَكَانَ بَدْرِيًّا»(٢).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا يَجُوزُ لِلْجَذْمَى مُخَالَطَةُ النَّاسِ عُمُومًا، وَلَا مُخَالَطَةُ أَحَدٍ مُعَيَّنٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَعَلَى وُلَّاةِ الأُمُورِ مَنْعُهُمْ مِنْ مُخَالَطَةِ النَّاسِ لَهُمْ؛ بَلْ يَكُونُونَ فِي مَكَان مُنْفَرِدٍ لَهُمْ وَنَحْوُ ذَلِكَ كَمَا جَاءَتْ بِهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ وَخُلَفَائِهِ، وَكَمَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ، وَإِذَا امْتَنَعَ وَلِيُّ الْأَمْرِ مِنْ ذَلِكَ أَوْ امْتَنَعَ الْمَجْذُومُ أَثِمَ بِذَلِكَ.اهـ(٣)

ثُمَّ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ الذَّهَابُ إِلَى الْمُسْتَشْفَى، وَلَا يَسْتَهِنْ بِشَأْنِ الْوَبَاءِ، فَإِنَّهُ إِنْ تَسَبَّبَ فِي إِمْرَاضِ غَيْرِهِ وَمَاتَ، فَيُخْشَى عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُتَسَبِّبًا فِي قَتْلِهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَقِّ مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ

---

(١) أَخْرَجَهُ: مُسْلِمٌ، ح: ٢٢٣١.

(٢) أَخْرَجَهُ: الطَّبَرِيُّ فِي تَهْذِيبِ الآثَارِ، ح: ٨٦، ٨٧.

(٣) الْفَتَاوَى الْكُبْرَى ٥/٥٣٤.

وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»[(١)].

فَإِذَا مَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ الرَّجُلَ مِنْ شُهُودِ الْجَمَاعَاتِ فِي الْمَسَاجِدِ حَتَّى لَا يُؤْذِي عِبَادَ اللهِ بِرَائِحَةِ الْبَصَلِ وَالثُّومِ، وَهُمَا مِنَ الْمُبَاحَاتِ، فَكَيْفَ الْأَمْرُ وِالْحَالُ بِمَنْ يَحْمَلُ فَيْروسَاتٍ قَاتِلَةً وَفَتَّاكَةً، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَذَى وَالضَّررِ، وَهُوَ أَوْلَى بِالْحَجرِ مِنْ آكَلِ الثَّوْمِ وَالْبَصَلِ.

كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَدَعَ الْحَرَكَةَ وَالْخُرُوجَ، فَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْفِرَارِ مِنَ الطَّاعُونِ، فَقَالَ ﷺ: «الطَّاعُونُ رِجْزٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَعَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَارًا مِنْهُ»[(٢)].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

يَجِبُ عِنْدَ وُقُوعِ الطَّاعُونِ السُّكُونُ وَالدَّعَةُ، وَتَسْكِينُ هَيَجَانِ الْأَخْلَاطِ،....، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي فِيهِ التَّقَلُّلُ مِنَ الْحَرَكَةِ بِحَسْبِ الْإِمْكَانِ، وَالْفَارُّ مِنْهُ لَا مُوجِبَ لِحَرَكَتِهِ إِلَّا مُجَرَّدُ الْفِرَارِ مِنْهُ، وَدَعَتُهُ وَسُكُونُهُ أَنْفَعُ لِقَلْبِهِ وَبَدَنِهِ وَأَقْرَبُ إِلَى تَوَكُّلِهِ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَاسْتِسْلَامِهِ لِقَضَائِهِ.اهـ[(٣)]

---

(١) أَخْرَجَهُ: مُسْلِمٌ، ح: ٥٦٤.

(٢) أَخْرَجَهُ: الْبَخَارِيُّ، ح: ٣٤٧٣، وَمسْلِمٌ، ح: ٢٢١٨.

(٣) زَادُ الْمَعَادِ لابْنِ الْقَيِّمِ ٤/ ٤٠.

اَسْتَغْفِرُ اللهَ، اَسْتَغْفِرُ اللهَ، اَسْتَغْفِرُ اللهَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، اَسْتَغْفِرُ اللهَ، اَسْتَغْفِرُ اللهَ، اَسْتَغْفِرُ اللهَ، اللَّهُمَّ اصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الْأَمْرَاضِ وَالْأَوْبِئَةِ وَالْأَسْقَامِ، وَارْفَعْ عَنْ بَلَدِنَا وَعَنْ سَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ الْغَلَاءَ وَالْوَبَاءَ، وَالرِّبَا وَالزِّنَا، وَالْمِحَنَ وَسُوءَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. وَاكْشِفْ عنَّا الْبَلَاءَ وَارْفَعْ الضُّرَّ وَاللَّأْوَاءَ؛ فَإِنَّهُ لَا كَاشِفَ وَلَا رَافِعَ لَهَا غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهُ سَوَاكِ.

هَذَا مَا أَمْكَنَ جَمْعَهُ، والفَضْلُ للهِ وَحْدَهُ؛ فَلَهُ الحَمْدُ وَالشُّكْرُ عَلَى توفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ وعَطَائِهِ، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنِّي الخَطَأَ وَالتَّقْصِيرَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

******

الفهرس